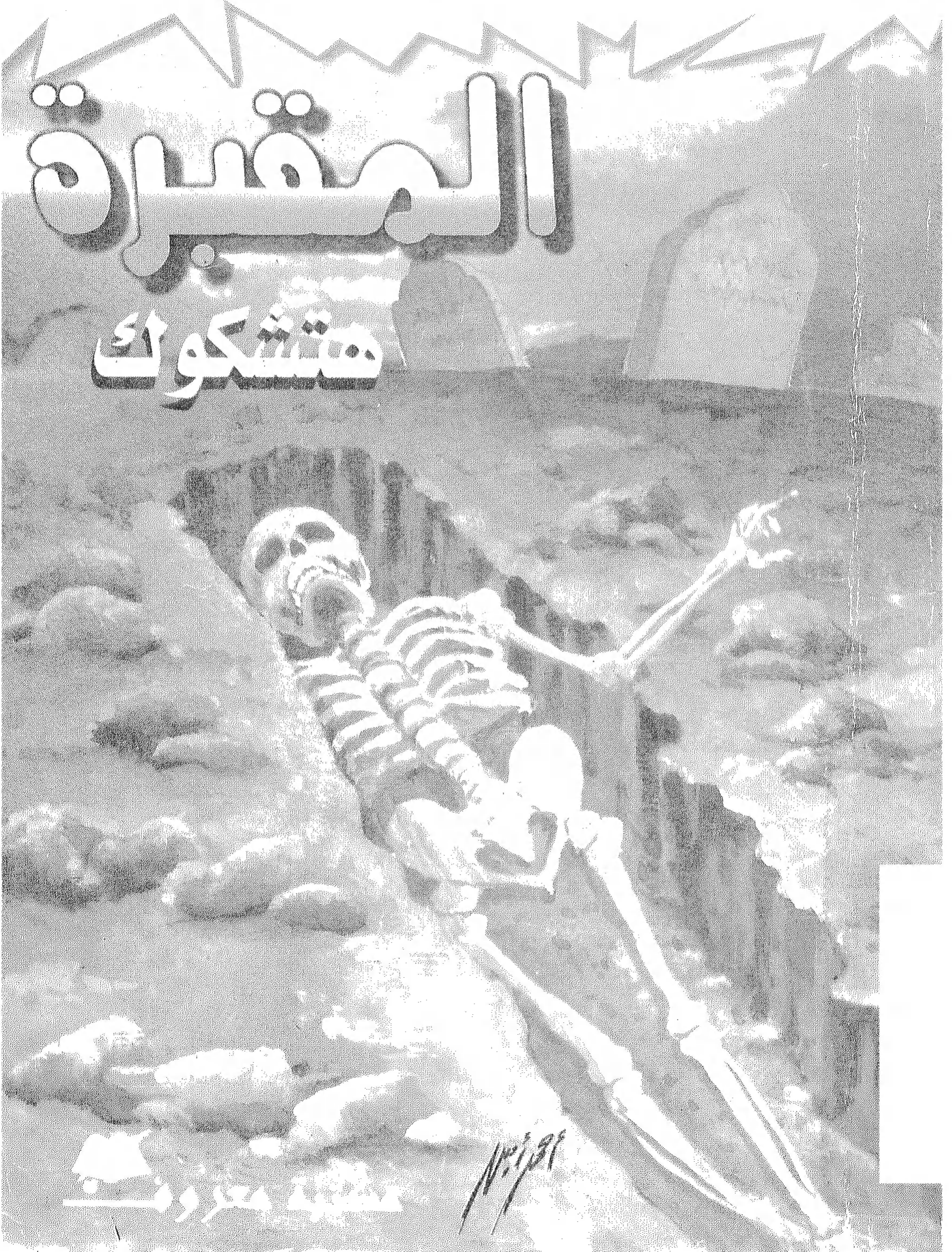
روائع القصص البوليسية



روائع القصص البوليسية

المقبرة

ترجمة/ محمد عبد المنعم جلال



مكتبة معروف

الإسكندرية: ٤٨١٠٨٧٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة: ٣٦١١١٣٣٩ ص.ب ١٢٧٠ الإسكندرية



المقبرة

اقتحم ايد جيسون ميدان الأعمال .. أى أعمال المدافن بالذات صدفة واتفاقا .. ولعله ينبغى أن نقول بدافع الضرورة إذا توخينا الدقة .. فقد كانت لدية جثة ، وكان لابد له أن يتخلص منها ، ولم يكن هناك مكان لإخفائها أفضل من المدافن .

ولكن المشكلة هى أنه لم يكن يملك مدفنا أو مقبرة ، فإن الذين يملكون المدافن والذين يعملون بها كلهم من القوم الأثرياء ، وهذه حقيقة أكتشفها أخيرا .. ولكنه كان فى سنة ١٩٤٩ بعيداً عن الثراء ، فقد كان لا يزال يكد ويكدح فى سبيل لقمة العيش .

ولم يكن يبحث عن المتاعب فى تلك الليلة من سنة ١٩٤٩ .. والواقع أنه كان ضجرا ملولا أرهق الحر أعصابة جد الأرهاق .. وكان قد قضى طوال يومه جالسا أمام عجلة القيادة يسوق جراره ويمر به فوق القمامة هنا وهناك والشمس حامية فوق رأسه ، ثم عاد إلى بيته – إلى مسكنه الحقير الذى يفتقر إلى جهاز التكييف .. وأقترح على زوجته أن يذهبا إلى السينما لقضاء فترة من الراحة والهدوء ، ولكنها أجابت بأنها على موعد مسبق مع بعض

صويحباتها للعب البريدج .

وإذ ألفى نفسه وحده لا يستطيع احتمال الطقس فى مسكنه الخانق مضى إلى مشرب مايك ، ولم يكن هذا المشرب بالمكان الفخم ، ولكنه كان مزودا بجهاز تكييف وكانت البيرة مثلجة تنعش الصدر ، وكان ايد يعرف مايك كما كان يعرف أغلب الرواد بحيث لم يكن ليجد مشقة فى الاشتراك فى الحديث .

ولكن فى تلك الليلة بالذات كان هناك رجل غريب يدعى ويد .

وكان هذا هو كل ما يعرفه عنه ، وشاءت الصدفة أن يكون المقعد الذى بجواره شاغرا عندما أقبل ويد فجلس عليه .

وسرعان مادار بينهما الحديث ، وبدا أن ويد كان غريبا عن المدينة ، وسأل أيد أنْ كان يعرف بعض الفتيات فأجابه هذا سلباً وقال له أنه رجل متزوج ، وعندئذ أبدى ويد دهشة وسأله لماذا يختلف إلى البار وحده أذن فأجابه بأن زوجته ذهبت للعب البريدج .

فضحك ويد ضحكة بذيئة وقال إنه خبير بالنساء ، وإنه تزوج مرتين وطلق كلا من زوجتيه ، وإنه لا يصدق قصة البريدج هذه ، وامتعض أيد من ضحكته ومن تعريضه بزوجته وراحا يتجادلان فى صوت مرتفع بحيث لم يجد مايك بدا من طردهما ليفضا جدلهما فى الخارج .

وفى الخارج ، فى الموقف المخصص لانتظار السيارات كان الظلام حالكا ، ولا يذكر أيد أبدا أن أحدا قد رأى ما حدث فقد مضى إلى سيارته ومعه ويد ، وكان هذا الأخير يقول أنه لا يثق بأية أمرأة فى العالم فى حين أصر أيد على رأيه ، وكانا قد أفرطا فى الشراب بحيث كان من الطبيعى

أن يحتدم بينهما النقاش وأن يتحول إلى شجار ، وكان كل منهما قوى الجسم مفتول العضل ، وكان من الممكن أن ينتهى الشجار بينهما بأية طريقة ، وكانا مخمورين والظلام حالك بحيث يتعذر على أى منهما أن يميز ما أمامه ، ولكن أيد كان محظوظا فقد صوب لكمة شديدة أصابت ذقن غريمة وأوقعته أرضا.

وذعر أيد ومضى إلى درج سيارته وأخذ مصباحه الكهربى وسدد ضوءه إلى الأرض ، فرأى جسم ويد . طريحا فوق الحصى والدم يصبغ رأسه ، وكان ملقى على ظهره لا يتحرك والدم يسيل فوق مقدم السيارة إذ ارتطمت رأسه بها عند وقوعه .

واستولى الرعب على أيد وعاد إلى صوابة فجأة . وأدرك أنه قتل رجلا ، لم يتعمد قتله طبعا – كان الامر مجرد حادث وقع قضاء وقدرا ، ولكنه كان يعرف فى غموض ما يجرى فى مثل هذا الموقف ، وكان واثقا أن رجال البوليس سيفسرون الأمر على أنه قتل غير متعمد وهذا معناه السجن خمس سنوات وربما عشرا .

وطالما ندب أيد جيسون حظه العاثر وزوجته غير الرقيقة ومسكنهما الحقير .. ولكنه كان يستطيب الحياة على الرغم من ذلك ، ولم يشأ أن ينتهى به الأمر إلى السجن .

أحس برغبة ملحة فى الهرب ولكنهم لن يلبثوا أن يكتشفوا الجثة إن لم يكن الليلة فغدا صباحا ، ومايك لا يحب أن يواجه المشاكل بسبب عمل طائش ، وسيقول مايك للبوليس أن الرجل الغريب وأيد جيسون تشاجرا بالأمس ، وأنهما غادرا المشرب معا وهما لا يزالان يتشاجران ، وسيتعذر

عليه طبعا أن ينجو من هذه الورطة .

وبدافع من الغريزة العمياء ، ولأنه كان الشئ الوحيد الذى كان يستطيع أن يفكر فيه ، فتح أيد جيسون سيارته ، لم تكن لديه أية فكرة عما يجب أن يفعل ، خطر له أن يلقى الجثة فى مكان ما من الطريق أو أن يلقيها فى البحيرة أو أن يتركها فى الغابة ، ولكنه كان لا يفتأ أن يطرح كل فكرة من هذه الأفكار عن رأسه ، فإن الجثة التى تلقى فى الطريق أو فى قاع البحرلا تلبث أن تظهر أو تطفو من جديد ، كما أن تلك التى تدفن فى أعماق الغابة لا تلبث أن تنبشها الكلاب الضالة ويكتشفها الفتيان الكشافة أو غير ذلك ، ثم تأتى مرحلة التعرف على صاحبها ولا شك أن مايك سيتقدم عندئذ ويفضى لرجال البوليس بنبأ المشاجرة التى وقعت بينه وبين الرجل الغريب .

وظل منطلقا بسيارته دون هدف مدة ساعتين ، وعندما عاد إلى البيت أخيرا كانت الجثة لا تزال فى حقيبة السيارة .. وخطر له أن يفضى بمشاكله لزوجته ، ولكنه عدل عن ذلك وقضى ليلة مسهدة وهو يبحث عن حل دون أن يهتدى إليه .

ونهض مع الفجر وتناول أفطارا أعده لنفسه ، فقد كانت زوجته لا تزال غارقة فى النوم لأنها عادت من لعب البريدج فى وقت متأخر من ليلة الأمس ثم خرج إلى سيارته وإلى مشكلته التى لم يهتد إلى حل لها وانطلق إلى عمله .

ولكنه ما كاد يصل إلى مكان عمله حتى عرف على الفور ما سوف يفعل ، فقد كان الأمر هينا بحيث رعى نفسه بالغباء لأنه لم يفكر فيه قبل ذلك ، وأنه

قضى طوال الليل أرقا مسهدا يبحث عن حل ، مع أن الحل تحت يده ليس هناك من مكان لأخفاء الجثة أفضل من المكان الذى يعمل فيه ، ونعنى به قلب القمامة بالذات .

وقال يحدث نفسه لا تتعجل وترو قبل أن تقدم على أى شئ .

وذلك أن أولى عربات النقل لن تأتى بالنفايات قبل بضع ساعات وسيبقى أثناء هذا الوقت وحده تقريبا ... فى هذا المكان النائى .

ولكن هل يمكن أن يرتكب أى خطأ أو أن يفتضح أمره ؟.. أبداً ، أن هذا محال .. ومع ذلك فيجب أن يفكر جيدا وأن يتأكد من أن الخطة التى يزمع الأقدام عليها تتمشى مع عمله العادى ، كان مقلب القمامة عبارة عن مكان فسيح يتكون من مجموعة من التلال المتعرجة المحفوفة بالأشجار ، وكان عمله يتطلب أن يهيل القمامة فى الوديان الواحد بعد الآخر، وأن يغطيها بعد ذلك بطبقة من التراب والقرميد ، ثم يجرى عليها بجراره مرارا وتكرارا حتى تنبسط الوديان وتتساوى ، ويعيد العملية المرة بعد المرة حتى يمتلئ الوادى ويتساوى سطحه مع سطح الأرض نفسها ، وكل ماعليه الآن هو أن يلقى بالجثة وسط القمامة فى جوف أحد هذه الوديان ويدفنها فيه .

ولكن كانت هناك مشكلة .. مشكلة صغيرة ، فإن مستر ستيوارت ، صاحب الأرض ، شرح له الأمر مرارا كثيرة ، وأوصاه أن يقوم بعمله على أكمل وجه ، وكان قد اشترى هذه الأرض الفسيحة، بحفنة من المال لبعدها عن العمران ، على أن يستغلها كمقلب للقمامة ، ثم يبيعها ذات يوم محققا ربحا كبيرا ، وذلك بعد أن يفرغ من ردمها ومساواتها بسطح الأرض وتقسيمها إلى قطع صغيرة . وكانت التعليمات الصادرة إليه هى أن يقوم

بعملية الردم والتسوية بأفضل طريقة ، وأن تكون طبقة التراب والقرميد بين كل طبقة وأخرى من القمامة سميكة جدا .

وكان المعنى الكامن خلف كل هذا هو أن جثة ويد دفنت في مكان عميق جدا ، بحيث إنه إذا خطر للبعض أن يحفر المكان لوضع أساس لبيت فلن يكون هناك أي خطر في أكتشاف هيكلها العظمي .. ولم تكن لديه أية فكرة عن الوقت اللازم لكي تتحلل الجثة وتتلاشى عظامها ، أو كيف يقوم رجال البوليس بعملية التعرف على صاحب الجثة ، ولكن لماذا يجازف بأية مخاطرة ؟ كل ما عليه هو أن يدفن الجثة في مكان عميق جدا بحيث لا يمكن لأي أحد أن يعثر عليها أبدا .

وبدا أيد على الفور ولكنه لم يتعجل ، ووقع أختياره أخيرا على واد يبلغ عمقه نحو عشرين قدما ونقل الجثة إليه ، ولم يره أحد فقد كان المكان نائيا منعزلا بعيدا عن العمران كما سبق القول ، ثم جلس في جراره وراح يدور به فوق البقعة التي دفن فيها الجثة بضع مرات .. وعندما فرغ كان الرجل المدعو ويد قد اختفى إلى الأبد في مقبرة مجهولة ، في مكان لم يكن مفروضا أبدا أن يكون مدفنا .

حدث ذلك في سنة ١٩٤٩ ، وراح أيد جيسون يقرأ الصحف ولكنها لم تنشر شيئا عن ويد ، لم تكن هناك جثة ، ولم يكن هناك من يعرف أنه مدفون في المقلب ، وأحس أيد بأنه قام بعمل لا بأس به فإن ويد لم يكن بالشخص الذي يستحق أن يعيش ، ولم يكن أيد جيسون ليستحق أن يقضي حياته في السجن بسبب جريمة وقعت قضاء وقدرا .

ولكن المتاعب بدأت مع زوجته في سنة ١٩٥١ .. كانت الأمور تجري منذ

وقت طويل دون أن يدرى أيد عنها شيئا ، كانت لعبة البريدج مع صويحباتها وسيلة للتضليل والتعمية والتغطية فى وقت واحد ، فقد اتفقت زوجته مع صديقة لها لكى تغطيها وتدعي أنها تلعب البريدج معها ، فى حين أنها كانت تمضى للقاء رجل آخر .. وقد أكتشف الأمر صدفة ، كان أيد يتمشى وحده ذات ليلة ، وكان المفروض أن زوجته تلعب البريدج فى هذه الساعة ، فإذا به يراها مع الرجل ، وقد صدم فى شعوره عندئذ بحيث لم يخطر له أن يواجهها ، واكتفى بأن يتبعها وصدره يغلى بالغضب .

وعندما عادت أخيرا كان فى انتظارها ، وكان لا يزال مستيقظا على غير عادته ، ولم تكن معتادة على أن ينتظرها عند الباب ، وأدركت عندئذ أن هناك شيئا فقالت فى أعياء :

– ما الخبر يا أيد ؟.. ولماذا أراك مستيقظا ؟.

وكان قد هدأ كثيرا فى هذه الأثناء ، وتقبل الأمر على أنه حقيقة فقال :

– لم أجد إلى النوم سبيلا .

– عجبا .. أما أنا فمرهقة جدا .

وتركها تتجاوزه ، ولاحظ عندئذ أشياء كثيرة ، كان قد انتهى الأمر إلى أن يرضى بها كما هى بعد ست سنوات من الزواج ، ولكنه رآها مختلفة جدا فى ذلك اليوم ، كانت قد سمنت قليلا وأن كان جسمها لا بأس به ، وأصبحت تسير بطريقة تلفت إليها الأنظار ، وكانت تصبغ شعرها بالمال الذى يعطيه لها وتكثر من صبغ شفتيها بالأحمر ، وكان وجهها لا يزال جميلا رقيقا بحيث يستأثر باهتمام رجل يبحث عن علاقة عابرة .

وتبعها إلى مخدعها وسألها فى غير أكتراث :

– أين كنت ؟.

– كنت ألعب البريدج فى مسكن دوتى كما تعرف .

– بل أعنى أين كنت حقا ؟.

وكانت قد خلعت ثوبها ، وجلست أمام منضدة الزينة فقالت :

– قلت لك أنني كنت ألعب البريدج مع دوتى .

– أما أنا فأقول إنك تكذبين .

نظرت إليه متحدية بقدر ما أستطاعت وقالت لا أدرى ماذا تعنى .

عبر الغرفة ووقف خلفها ونظر إلى وجهها فى المرآة وتأملته عندئذ فى برود ، ورأى فى عينيها شيئا لم يسبق أن رآه من قبل .. صلابة وحدة بدلا من الرقة والحب كما عودته ، وقال :

– إنني رأيتك مع الرجل .

ضاقت عيناها وقالت :

– حسنا كان لابد أن يقع على كل حال ، وماذا تنوى أن تفعل ؟.

– بل ماذا تنوين أنت ؟.

– لا شئ .

– أتستمرين فى مقابلته ؟.

– نعم .

– هل تحبينه ؟.

– نعم .

– وماذا من أمرى أنا .

قالت ساخرة وقد هبت وراحت تردد البصر حولها فى المخدع :

– أنت ؟.. ولماذا أكترث بك ؟.. ماذا فعلت من أجلى ؟.

– إننى أحببتك وأعلتك .

– هاها .. أنت أيها المأفون .. سائق جرار مغمور فى مقلب القمامة !.

لم يكن ينبغى أن تنطق بهذا القول ، ما كانت الفكرة لتواتيه لو أنها لم تذكر الجرار ومقلب القمامة ، ولم يكن من عادة أيد جيسون أن يلجأ إلى العنف ولكن عندما وجهت إليه هذه الكلمات ـ تخيل زوجته راقدة في غور أحد تلك الوديان ، ورأى نفسه يهيل عليها القمامة والتراب ، ويجرى فوقها بجراره مرارا وتكرارا .

وارتفعت يداه إلي حنجرتها وأخذها على غرة وكانتا قويتين ضخمتين لكثرة معالجته للروافع الحديدية ، وعلى النقيض من ذلك كان عنق زوجته رقيقا هشا لا يحتمل قوته ، وراح يضغط ويضغط ، وقد قاومته وناضلته وراحت تتوسل إليه بعينيها الجاحظتين ولكن لم يكن هناك أى شك فى النتيجة الحتمية ، فإن مقاومتها غير المجدية منذ البداية أخذت تضعف بسرعة ثم انتهت فجأة ، وأصبحت شيئا رخوا بين يديه ، وعندما تركها أخيرا تهاوت فى رفق ووقعت على الأرض ولم تتحرك .

وفيما بعد ، وهو يحتسى البيرة المثلجة خطر له أنه ما كان ينبغى أن يفعل ما فعل ، لا ندما على ذلك ولكن لأنه كان لايزال يحب زوجته ، ومع ذلك فقد أحس بالأرتياح عندما خنقها ، إذ انتقم لحبه المنبوذ وللأهانة التى

ألحقتها به .

ولكن كان فى مقدوره أن لا يلجأ إلى العنف .. كان يمكنه أن يطلقها طبعا ، بيد أن الطلاق كان سيجر عليه مشاكل ومتاعب لا قبل له بها إذ سيكلفه مالا كثيرا ، ثم إن وقته سيضيع ، كانت الطريقة التى أقدم عليها أسهل وأفضل .

ومهما يكن فقد قضى الأمر الآن وحمل زوجته فوق كتفيه ووضعها فى صندوق سيارته ، وبعد أمعان الفكر وضع ملابسها وأدوات الزينة الخاصة بها ثم أوى إلى فراشه ونام نوما عميقا .

واستيقظ فى وقت مبكر ومضى إلي مقلب القمامة مع بزوغ الفجر ، وكان رأيه قد أستقر على المكان الذى يدفنها فيه ، فما أن وصل حتى أوقف السيارة في المكان الذى وقع عليه أختياره ثم أفرغ حمولته ، وأتبع نفس الحيطة السابقة ، وتأكد أن الجثة ستكون فى مكان عميق جدا ، بل فى مكان أعمق من ذلك الذى دفن فيه ويد بنحو عشرة أقدام أخرى .

وذكر للجيران فى تلك الليلة أن زوجته ركبت الطائرة لزيارة أمها المريضة والواقع أنه كان لزوجته أم وبعض الأخوة ولكن الصلة كانت مقطوعة بينهم تماما بحيث لم يكن يزورها أى واحد منهم فى أى وقت من الأوقات .

ثم ذكر لصاحب البيت أنه سينتقل إلي مسكن آخر ، وكان المسكن الجديد الذى أنتقل إليه عبارة عن غرفة واحدة من تلك الغرف التى أعدت لغير المتزوجين .

والواقع أنه أصبح الآن رجلا أعزب ولكنه تغير فى نفس الوقت ، كانت قد قالت له إنه سائق مغمور فى مقلب للقمامة ، وقد ظل يفكر ويقلب الأمر على

جميع وجوهه ، وأدرك أن هذا هو عمله في الواقع وأنه لا يربح الكثير من المال وأن هذا هو السبب الذى دفع بزوجته إلى أحضان رجل غيره ، ولعل ويد كان على حق في حديثه عن النساء ، فقد قال إنه لا يجب أن يثق فى أية امرأة وأن النساء ترتمى فى أحضان الرجال المحترمين الذين يملكون مالا أكثر .

ولكن ماذا يمكن لايد جيسون أن يفعل لكي يحصل على المال ؟.. إنه غير مثقف ولا يصلح أبدا لأى عمل آخر غير ذلك الذى يقوم به حاليا وهو قيادة الجرارات فكيف يمكنه أن يستغل عمله هذا .. كيف يمكن أن يثرى عن طريقه ؟.

لم يغب الرد عنه كثيرا ، فقد كان على نقيض غيره من الرجال ، كان لديه شئ لم يكن لدى غيره ، كان لديه شئ ثمين كما يقول رجال الأعمال .. كان لديه مكان للتصرف في الجثث بالطرق العادية وبمعنى آخر كان لديه مدفن كبير غير قانوني .

قال لنفسه أنه لابد أن يكون هناك قوم فى حاجة إلى مثل هذا المدفن الخاص ، ولكن المشكلة هي أين يجد مثل هؤلاء القوم .. وكيف يتصل بهم ؟..

لم يكن هناك ما يدعوه إلى الظن أو الانزعاج فى هذه العملية فقد كانت عملية سهلة ممتازة ، كان المكان بعيدا عن العمران ، ولم يكن هناك أى احتمال فى أن تقترب منه المدينة والحضارة ، وكان المفروض أن يبقى فى متناول يده لسنوات طويلة ، وإذا قام بدفن الجثث بما يكفى من العمق وخطر لمستر ستيوارت أن يبيع الأرض وفكر الشارى فى استثمارها فى

البناء فليس هناك أى احتمال في اكتشاف أمرها ، ويستطيع مستر ستيوارت عندئذ أن يشترى بقعة أخرى غير ممهدة ويستمر أيد جيسون فى العمل .

ولكن كان عليه أولا أن يجد العملاء .

وقرأ عندئذ خبراً فى الصحف عن رجل يدعى نيكولا البيرت .. وكان البيرت هذا من رجال العصابات ، بل كان رئيس عصابة فى الواقع ، ولكنه لم يكن يعمل فى المدينة الصغيرة التى يقيم أيد جيسون فيها ، وأنما كان مجال نشاطه في مدينة كبيرة تبعد عنه بنحو خمسة وسبعين ميلا ، وكان رجال البوليس يشتبهون فى أنه قتل رئيس عصابة أخرى يدعى جيمى تراسك ولكنهم كانوا غير متأكدين من ذلك . بل أنهم كانوا غير متأكدين من أن جيمى تراسك قد مات ، كل ما كانوا يعرفونه هو أنه مفقود وأن الظروف التى أحاطت بفقده مريبة .

حصل أيد على أجازة صغيرة وانتقل إلى المدينة للبحث عن نيكولا البيرت ، ولم يكن من السهل مقابلة رئيس العصابة ، وخصوصا بالنسبة لرجل خشن المظهر ملوح البشرة كأيد جيسون ، ولكن أيد ظل مثابرا يحوم بالمكان ولا يبتعد عنه ، وهداه تفكيره إلى أن يكتب رسالة صغيرة هذه نصها .

فى مقدورى أن أقوم بعمل مفيد لك يا مستر البيرت ومهدت له هذه الرسالة الصغيرة الطريق ، فقد أقبل إليه رجلان يدس كل منهما يده فى جيوبه وأصطحباه لمقابلة الرجل الكبير .

كان البيرت رجلا قصيرا ، ولعل هذا هو السبب فى أن كل الذين يعملون

معه كانوا قصار القامة هم الآخرين ، وكان يرتدى بدلة بنية اللون تلمع كالفضة وتتلألأ فى ربطة عنقه ماسة كبيرة .

وكان يجلس خلف مكتب ضخم يكاد يخفى جسمه ، ولكن رأسه كانت تدل على الذكاء وتومض فيها عينان حادتان .

سأله قائلا :

- ما هو هذا العمل المفيد الذى تستطيع أن تقوم به يا مستر جيسون ؟.

وكان أيد قد اعتزم أن يكون جريئا فقال :

- إذا حدث وكانت جثة تراسك لا تزال موجودة فى مكان ما وتضايقك فأنني أستطيع أن أريحك منها .

لم تتحرك عضلة واحدة فى وجه نيكولا ، وقال مستخدما نفس الكلمات التى سبق أن استخدمها فى حديثه مع رجال البوليس :

- لا أعرف شيئا عن جيمى تراسك .

اندفعت الكلمات من بين شفتى أيد عندئذ فى سهولة فقال :

- لم أقل إنك تعرف شيئا يا مستر البيرت وإنما قلت إذا حدث ، أنني أزاول عملا يمكننى التخلص من أشياء كثيرة لا يريدها بعض الناس ، أننى أعمل فى مقلب للقمامة تفرغ فيه كل أنواع النفايات والقاذورات وأجرى فوقها بالجرار لتمهيد الأرض وتسويتها .

نظر نيكولا البيرت إلى رجليه فهز كل منها رأسه وعندئذ قال :

- مستر جيسون صف لي عملك وقل لى ما هو مقلب القمامة بالذات .

وتكلم أيد فزوده بكل ما يريد من معلومات .. بكل شئ فيما عدا أن المقلب يضم جثتين فى الوقت الحالى .. ففى أثناء السنتين الماضيتين كان أيد قد تعلم الحرص والحذر ، وأختتم حديثه أخيرا فقال :

– وأظن أنه أفضل مكان للتخلص من الجثث ، وخصوصا للأشخاص الذين لا يستطيعون مواجة مراسم الجنازة والدفن الرسمية بعيدا عن الأجراءت القانونية .. أننى أعرف الوقت الذى تأتي فيه سيارات النقل بالنفايات وأستطيع أن أراها وهى قادمة من مسافات ميلين ، وفيماعدا هذه الأوقات فأننى أكون وحدى تماما فى المقلب وأستطيع أن أفرغ فيه أى شئ يمكن أن يكون موجودا فى صندوق سيارتى دون أن يراه أحد ، ويمكنك أن تكون على ثقة من ذلك .

عض البيرت على شفته الضخمة وهو يفكر ، وأدرك أيد من ذلك أن البيرت فضح نفسه أمامه وأن لدية جثة فى مكان ما حقا ، ولاحظ شيئا آخر فقد بانت اللهفة فى عينى البيرت مما يدل على أن تلك الجثة كانت تزعج رجل العصابات .

وسأله البيرت أخيراً :

– وكيف أعرف أنك لست من رجال البوليس ؟.

– يمكنك أن تستعلم عنى .. أين أعمل ومنذ متى وأنا فى عملى هذا .. بل يمكنك أن تأتى بنفسك إلى المكان الذى أعمل فيه إذا أردت .

حرك البيرت يده ، وكانت رقيقة كأيدي الفتيات تزينها الخواتم الكبيرة وقال :

– كلا .. لا أريد أن يرانى أحد هناك ، فربما تبعنى أحد من رجال

البوليس .

وأخرجوه من الغرفة وقيل له أن ينتظر .. ودار نقاش طويل في غرفة البيرت وأخيراً خرج إليه أحد الرجلين وقال له أنه يستطيع الأنصراف ، وأنه ربما سمع عنهم فيما بعد ، وانصرف أيد وهو يشعر بأنه أنجز شيئا .

وفى اليوم التالى تأكد من أن هناك من يراقبه وهو يقوم بعمله ، كان هناك شخص علي مسافة بعيدة جدا طبعا .. شخص يستخدم منظارا كبيرا مقربا .. واتفق أن رأى مستر ستيوارت فى ذلك اليوم ، وقال له هذا الأخير فى شئ من الفضول أن رجلا أتى إليه وألقى عليه بضعة أسئلة بشأنه .

وفى مساء اليوم التالى جاءته مكالمة من مدينة أخري قيل له فيها أن يذهب بسيارته إلى مكان خارج المدينة فى نفس الليلة لكى يتلقى طردا .

وقال يسأل :

– وماذا أحصل مقابل نقل الطرد ؟ .

أجابه الصوت المجهول :

– مائتا دولار .

قال أيد :

– لتكن ألفا .

تردد الصوت نحو عشر ثوان كاملة قبل أن يقول :

– حسنا .. لتكن ألفا .

ومضى أيد بسيارته إلي المكان الذى عين له ، وهو يشعر بأنه أصبح

أفضل حالا من أي وقت مضى ، وأنه غدا من رجال الأعمال ، وأصبح في أستطاعته أن يربح مبالغ أضافية بجوار مهنته العادية وهى قيادة الجرار.

وكان المكان الذى قيل له أن يمضى إليه مظلما، ووجد فى انتظاره عربة نقل صغيرة تحمل اسم محل ألبان معروف ، وأعطى السائق لأيد شيئين : أولهما مظروف جميل يسيل له اللعاب والآخر طرد كبير طوله نحو ستة أقدام ملفوف فى ورق أسمر فقال يسأل :

– ولم هو متيبس هكذا ؟.

أجابه السائق لأنه كان مودعا فى الثلاجة .. كانت الجثة متصلبة بحيث أضطر أيد إلى أخراج العجلة الأضافية من الصندوق ليتمكن من حشرها وكان سائق عربة النقل يسب ويشتم وهو ينقلها إلى داخل الصندوق وأنتهى الأمر أخيراً، وقلب أيد الأمر فى ذهنه وقرر أن لا يقدم على نفس الغلطة فى المرة القادمة .

وفى الصباح ، عندما أفرغ الطرد أحس بنفس الأحساس الذى سبق أن أحس به ، هو أن شخصا راح يراقبه من مسافة بعيدة ، ولكنه لم يعبأ بذلك فقد كان يقوم بعمل شريف نظير مبلغ شريف ، وقد وجد فى المظروف الذى أعطاه له السائق أوراقا مالية قيمتها ألف دولار .

وكان ذلك بداية الطريق .. أبتداء من سنة ١٩٥١ .. بداية مهنة خفيفة مربحة لأيد جيسون ، فقد وقع فى البيرت على عميل طيب ويبدو أنه كان لهذا الأخير مخزونا من الأعداء ، وقد اتبع نفس الطريقة فى التخلص منهم واحدا واحدا ، فلم يكن هناك أفضل وأسلم من مدفن القمامة لاخفائهم فيه إلى الأبد ، ولم يعرف رجال البوليس أبدا كيف يختفى مثل هذا العدد الكبير من

الناس دون أن يتركوا وراءهم أثرا يدل عليهم ، وقد تصور أيد نفسه أنه أهتدى إلى عمل أنسانى جليل يمد يد المساعدة للتخلص من أناس غير مرغوب فيهم من الأفضل للمجتمع أن يتخلص منهم .

وراحت الطرود تأتيه من كل مكان بحيث خيل إليه أنها تأتيه من مدن أخرى غير المدينة التى يقيم البيرت فيها، وقد خطر له أن هذا الأخير يبدي نشاطا كبيرا في هذه الناحية ، وأنه ربما يمد يد المساعدة لاصدقائه فى شيكاغو وفريسكو وغيرها من البلاد ، وأنه يتقاضى ألفي دولار عن الجثة الواحدة ويقتسم المبلغ معه .. وخطر لايد أن يناقشه فى هذه النقطة ولكنه لم يلبث أن عدل عن ذلك ، وقد أدرك أن نيكولا يقوم بكل الأجراءات اللازمة ، وأن له الحق فى الحصول على ما يريد من عمولة ، ثم أنه لم يشأ أن يجازف فى القضاء بكل عمل مربح ، فقد أصبح الآن من الأثرياء ، وأن بدا حريصا علي أن ينم مظهره على ذلك ، والواقع أنه أصبح رجلا محنكا ، فقد سمع عن الأخطار التى يتعرض لها المرء من التهرب من ضريبة الدخل ولهذا كان يقول إذا ما سأله البعض أنه رجل مقتصد يوفر كل ما يمكنه توفيره وأنه أصبح فى ميسوره مواجهة أشياء كثيرة خاصة بعد أن هجرته زوجته .

وكانت الأشياء الكثيرة فى حياة أيد عبارة عن مسكن جديد مريح وأن كان بعيدا عن البذخ والترف ، وعن بوفية يحتوى على كل أنواع الخمور وصديقات يشاركنه الشرب فى بعض الأوقات وهن صديقات صغيرات السن دائما ، وعلى جانب كبير من الجمال يبحثن عن الحب واللهو ، ولم يتزوج أيد بعد ذلك أبدا ، فهو لم يكن من ذلك النوع الذى يقدم على نفس الغلطة مرتين .

وذات يوم ، وهو يفحص ذخيرته الخفية من الأوراق المالية المكدسة خطر له أن يعتزل العمل ، وأن يعيش حياة حقيقية فى مكان آخر غريب لا يعرفه فيه أحد .. وأعد العدة لذلك ، وطفق يقرأ كتب السياحة ، وكان هذا جزءا من متعة الحياة .. أن يعد للمستقبل كما يفعل أى رجل ثرى .

وخطر له أن هذا المستقبل قد أقبل أخيرا ذات يوم عندما جاء مستر ستيوارت ويرفقته رجل لاستطلاع المكان ، وقدم له مستر ستيوارت الوافد الجديد باسم ماكلين ، وظل مستر ستيوارت على تكتمه ولم يجد أيد بدا من أن يسأله :

- ما الخبر ؟..

كان يعلم أن مستر ستيوارت يتمنى أن يبيع المكان وأن يحقق منه ربحا كبيرا ، ولكن البلدية رفضت أن تمد يد العمران إلى هذه الناحية ، وعلى الرغم من أن أيد ظل يسوق جراره حتى تساوت الوديان كلها بالأرض فإنه لم يخطر له أبدا أن المكان سيكون شيئا آخر غير مزرعة أو مرعي للماشية وقال :

- هل سيشترى مستر ماكلين هذه الأرض ؟.

أجابه مستر ستيوارت :

- يبدو هذا ، ولكن لا تقلق يا أيد ، فلن تفقد عملك إذا بعت هذه الأرض إذ سوف أشترى غيرها فى شمال المدينة .. وسوف تعمل معي .. بل أننى سأستطيع أن أشترى لك جرارا جديدا عندئذ .

أحس أيد جيسون بالأرتياح لمجرد لحظة ، ولكنه أحس كذلك بأنه يجب

أن يكون أكثر حرصا فى هذه الأيام ، لأن مستر ماكلين بدأ يزور المكان فى أوقات غريبة وكان يأتي وبرفقته بعض المساحين وغيرهم من الرجال ثم أقبل ذات يوم مرتديا ثيابا رسمية وقبعة لها حافة موشاه بالذهب فترك أيد عمله وأسرع إلي مكتب مستر ستيوارت وسأله فى خوف حقيقى :

– ما الذى يدور هنا ؟..

أضطجع مستر ستيوارت فى مقعده إلى الخلف ووضع قدما على حافة مكتبه وابتسم ابتسامة عريضة ، وقال فى شئ من الارتباك :

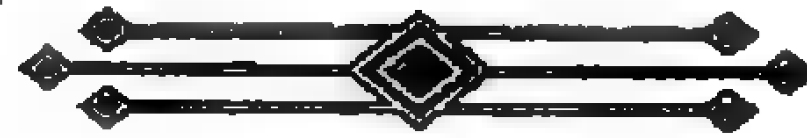
– أظن أننا لا نستطيع إخفاء الأمر أكثر من ذلك يا أيد ، أن السلاح الجوي سيشترى الأرض لأنشاء قواعد صاروخية فوقها سيحفرون الأرض إلي عمق ستين قدما أو نحو ذلك .

سارأيد نحو الباب فى حين كان مستر ستيوارت يقول معقبا :

– أرأيت إلى الحكومة ! .. إننا ظللنا نملأ هذا المكان طوال سنوات ولكنها ستحفره الآن من جديد .

مضى أيد إلى بيته وبحث عن نشرات السياحة وخطر له أن يبحث عن بلد لا تتقيد بقوانين تسليم المجرمين الذين يلجأون إليه .

لقد أصبح حقا رجلا محنكا .



قاتل أبويه

كانت الجريمة من الغموض بحيث لم يجد المحامي مفرا من أن يرمي موكله بالجنون .

فقد لفظ النهر ذات يوم ، على مقربة من شاتو ، جثتين متعانقتين لرجل وامرأة من الموسرين تجاوزا سن الشباب ولم يتزوجا إلا منذ عام واحد بعد أن ترملت المرأة .

ولم يكن أحد يعرف لهما عدوا ، وأسفر التحقيق عن أن القتل لم يكن بقصد السرقة وأن القاتل ألقى بجثتيهما في النهر بعد أن طعنهما عدة طعنات بآلة حادة .

ولم يكشف التحقيق عن أكثر من ذلك ، فإن البحارة الذين أستجوبهم رجال البوليس لم يستطيعوا الأدلاء بما يجلو الغموض الذي اكتنف تلك الجريمة المزدوجة ، وكاد المحققون ينفضون أيديهم عنها ويقيدونها ضد مجهول لولا أن جاءهم نجار شاب من سكان إحدى القرى القريبة اسمه جورج لويس وكنيته " الحضرى " فسلم نفسه .

وكان لا يرد على الأسئلة التي يلقونها عليه إلا بهذه الكلمات :

عرفت الرجل من سنتين ، أما المرأة فعرفتها من ستة أشهر وقد جاءا إلى مرارا لكى أصلح لهما أثاثا قديما لأننى أشتهرت بالدقة فى مهنتى .

فإذا ما سألوه :

– ولماذا قتلتهما ؟ .

أجاب فى إصرار :

– لأن نفسى سولت لى أن أقتلهما، وعبثا حاول المحققون أن يستزيدوه شيئا .

كان ذلك الشاب فتى غير شرعى جيئ به وهو طفل إلى مرضعة بالقرية ولم يلبث أهله أن تخلوا عنه ، ولم يعرف أحد له أسما غير جورج لويس ولكنه عندما أشتد عوده وكبر ظهرت عليه بوادر الذكاء وصدرت عنه بعض الميول الخاصة التى يألفها الناس من أهل المدن حتى أن جميع أهالى القرية أطلقوا عليه اسم " الحضرى " ، ولم يعرفوا له فيما بعد غير هذا الأسم ، وقد أشتهر بدقته فى فن النجارة التى أتخذها مهنة له يرتزق منها ، بل أنه كان يقوم فى بعض الأحيان بالنقش على الخشب ، وقد قيل عنه ذات مرة أنه متحمس للمبادئ الشيوعية وأنه يميل إلى مطالعة الروايات الدرامية وأن له نفوذا كبير فى الدوائر الأنتخابية ، زد على ذلك أنه كان خطيبا مفوها فى الأجتماعات العامة التى يعقدها العمال والفلاحون .

وهكذا لم يجد المحامى خيرا من أن يرميه بالجنون لكى ينقذ عنقه من حبل المشنقة .

وكيف يمكننا أن نعقل حقا أن هذا العامل قتل خيرة عملائه .. عميلين

موسرين كريمين (وقد أعترف هو نفسه بذلك) ، فقد أصلح لهما قطعا كثيرة من الأثاث وربح منهما في العامين الماضيين ثلاثة فرنك ، لم يكن هناك غير تفسير واحد لتلك الجريمة الفظيعة وهو الجنون .. ثم أن القتل هي الفكرة التي تستبد باللقيط الذي يتخلى عنه أهله فيصيب جام غضبه وأنتقامه على اثنين من أهالي الحضر ، وأشار المحامي أشارة بارعة إلى ذلك اللقب الذي يلقبونه به في القرية وراح يقول :

– أن هذه التسمية في حد ذاتها سخرية .. سخرية جديرة باشعال نار الغضب في قلب هذا الشاب المسكين الذي نشأ لا يعرف له أبا ولا أما .. أنه جمهوري متعصب .. ماذا أقول ، بل هو ينتمي إلى ذلك الحزب السياسي الذي جارته الحكومة فيما سلف وتحضنه في أيامنا هذه ، وهذا الحزب يجد في أشعال النار مبدأ وفي الجريمة وسيلة بسيطة لادراك الغاية التي يسعى إليها .

" وأن هذه المبادئ التي تثير الأسف ويهتف الناس بها في المجتمعات العامة وفي المحافل أضاعت هذا الرجل فهو قد سمع الجمهوريين يطالبون بدم هذا الرجل أو ذلك وأهتاجت روحه المريضة فأهدر دما .. دما متحضرا .." .

" ولهذا لا يجب أن تحكموا عليه أيها السادة وأنما يجب أن تدينوا المجتمع " .

وارتفعت عبارات الاستحسان من كل مكان ، وأحس الحاضرون أن المحامي أستطاع أن يثير الشفقة في قلوب القضاة ، ولم يبد وكيل النيابة أي أعتراض ، والتفت الرئيس إلى المتهم وألقى عليه السؤال العادي فقال :

– أهناك ما تدافع به عن نفسك أيها المتهم ؟.

نهض الشاب عندئذ ـ كان قصير القامة أشقر الشعر ذا عينين زرقاوين ثاقبتين وصوت جهوري واضح رنان لم يلبث أن أثار اهتمام الرأى العام بمجرد أن انطلق من بين شفتيه .

وتكلم فى صوت مرتفع كان أشبه بصوت الخطيب ، ولكنه كان من الوضوح بحيث استطاع الجميع ، حتى الذين يجلسون فى اخر القاعة أن يتبينوه .. قال :

– سيدى الرئيس ـ بما أننى لا أحب أن يذهبوا بى إلى مستشفى المجانين وأوثر عليها حبل المشنقة فسوف أذكر لكم الحقيقة .

" أننى قتلت ذلك الرجل وتلك المرأة حقا .. ولكننى قتلتهما لأنهما أبواى .

" والآن أنصتوا إلى جيدا ثم أصدروا حكمكم بعد ذلك ..".

وضعت امرأة طفلا وعهدت به إلى مرضعة فى بلد غريب .. ولم تبد تلك المرأة بوليدها أى أهتمام ، بل لم تحاول أن تعرف إلي أى بلد أرسل شريكها الطفل الوليد البرئ الذى حكما عليه بالشقاء الدائم نتيجة للعار الذى الحقه بهما بحكم مولده .. بل كتب عليه أكثر من ذلك .. كتب عليه الموت إذ لم يلبث أن تخلى أبواه عنه وقطعا عن المرضعة الأجر الذى سبق أن اتفقا معها عليه لكى لا يموت جوعا .

" ولكن المرأة التى أرضعتنى كان بين ضلوعها قلب حانٍ كريم نبيل يزخر بعاطفة الأمومة أكثر من أمي نفسها فربتنى وقد أخطأت إذ قامت

بهذا الواجب الذى أملاه عليها ضميرها .

فقد كنت أوثر أن تتركنى أموت أو أن تلقى بى فى إحدى القرى النائية كما يلقى المرء بإحدى القاذورات فى سلة القمامة .

وشببت وأنا أحس أحساسا مبهما بأننى أحمل فوق جبينى وصمة العار ودعانى أطفال القرية ذات يوم بأبن الزنا وهم لا يدركون لهاتين الكلمتين معنى . ولعل أحدهم سمعها من والديه .

وكنت أنا نفسى أجهل معناهما ، ولكننى أحسست مع ذلك بأننى أكاد أنوب خجلاً وعارا .

" وأستطيع أن أقول إننى كنت أذكى وأنجب طفل فى المدرسة وقد كان فى الإمكان أن أكون رجلا شريفا يا سيدى الرئيس ، بل لعله كان من المحتمل أن أكون رجلا فاضلا عظيما لو أن والدى حرصا على تربيتى ولم يرتكبا أبشع جريمة بتخليهما عنى .

" هذه الجريمة البشعة ارتكباها فى حقى أنا .. كنت أنا الضحية وكانا هما الجانيين .. كنت عديم الحول والقوة ولم يعرفا هما آية رحمة أو شفقة كان يجب أن يحنوا على وأن يغمرانى بعطفهما وحبهما ولكنهما نبذانى من حياتهما نبذ النواة .

" ومع ذلك فقد كنت أدين لهما بحياتى ، ولكن هل كانت هذه الحياة التى منحانى أياها هبة منهما ؟.. إنها لم تكن على كل حال غير سلسلة من الشقاء والعذاب ، فبعد أن نبذاني بهذه الصورة المزرية لم أعد أدين لهما إلا بالأنتقام .فقد أرتكبا فى حقى أفظع وأبشع وأقسى ما ارتكبه بشر.

" والرجل يضرب إذا ما أهين ويسترد ماله إذا سرق، ويقتل إذاخدعه

انسان أو غرر به أو فضحه .. أما أنا فكنت أكثر من مخدوع ومفضوح .

" أنتقمت لنفسي وقتلت ، وهذا هو حقي الشرعي سلبت حياتهما السعيدة الهانية نظير الحياة البشعة التي فرضاها على .

" ستقولون أنني قتلت أبوى .. ولكن هل عرف هذان المخلوقان اللذين أعتبراني حملا ثقيلا مروعا ووصمة عار في جبينهما .. هل عرفا معنى الأبوة ؟.. لقد كان مولدى بالنسبة لهما مصيبة وكارثة وحياتي خطرا وعارا لهما .. أرادا أشباع شهوة عابرة ولذة أنانية فجاءهما طفل لم يرغبا فيه ولم يحسبا له أي حساب فمحواني من حياتهما ، وقد جاء دورى أنا لكي أمحوهما من حياتي بدورى ".

" ومع ذلك فقد كنت أوشك أن أحبهما أخيراً "..

" فمنذ سنتين ، كما سبق أن قلت لكم ، جاءني الرجل ، وأعني به أبي ودخل محلي لأول مرة .. ولم أشتبه في شئ ، وطلب مني أن أصنع له بعض قطع الأثاث .. وقد علمت فيما بعد أنه أستقصى عني سرا من خوري القرية ".

" وعاد بعد ذلك مرارا .. وكان يسألني في كل مرة أن أصنع له مزيدا من الأثاث وينقدني الثمن دون مساومة ، وكان في بعض الأحيان يتبادل معي الحديث في مواضيع شتى ، و أحسست نحوه بشئ من الميل .

" وفي بداية هذه السنة أتى معه بزوجته .. أمي وعندما دخلت كانت تضطرب كالريشة في مهب الرياح بحيث خيل لي أنها تشكو مرضا عصبيا ثم سألتني أن أقدم لها مقعدا وكوبا من الماء ، ولم تقل لي شيئا بل راحت

تردد البصر حولها كالمجنونة ، ولم تجب على الأسئلة التى كان زوجها يلقيها عليها بأكثر من نعم أو لا ، وعندما غادرت المحل أخيراً كنت أعتقد أن بها شيئا من الخبال .

وعادت فى الشهر التالى ، وكانت أكثر هدوءا فى تلك المرة وأشد جأشا وبقيا فى ذلك اليوم مدة طويلة يتبادلان الحديث معى ثم طلبا منى أن أصنع لهما بعض قطع الأثاث ، ورأيتها بعد ذلك ثلاث مرات دون أن أحدس شيئا ، ولكن جاء يوم أخذت تحدثنى فيه عن حياتى وطفولتى وأهلى فأجبتها بأن أهلى شقيان نبذانى وما كدت أنطق بهذه الكلمات حتى دقت صدرها بيدها وأغمي عليها ولم يلتبس على الأمر عندئذ وقلت لنفسى أنها أمى دون شك ، ولكننى كتمت ما بنفسى ولم أظهر شيئا مما بى فقد كنت أريد أن أراها مرارا وتكرارا .

وتقصيت من ناحيتى فعلمت أنهما تزوجا منذ شهرين بعد أن قضت أمي ثلاث سنوات فى الترمل ، وترددت عنها الأشاعات والأقاويل فقيل أنهما كانا على علاقة معا وزوجها الأول على قيد الحياة ، ولكن لم يكن هناك أى دليل على ذلك ، كنت أنا ذلك الدليل الذى أخفياه وحسبا أنهما تخلصا منه .

وانتظرت ، وأقبلت ذات ليلة برفقة زوجها ، وكانت تبدو في ذلك اليوم شديدة الانفعال ولا أدرى لأى سبب ، وعندما همت بالانصراف قالت لى :

– أننى أريد لك كل الخير لأنك تبدو لى شابا أمينا شريفا مخلصا لعمله ولعلك تفكر فى الزواج يوما، وقد خطر لى أن أعينك فى اختيار الزوجة التى يقع عليها أختيارك لأن أهلى زوجونى علي الرغم منى ، ولهذا فأنا أعرف ما يحس به المرء فى مثل هذه المناسبة ، وأنا الأن ثرية وليس لى أولاد

وأستطيع التصرف فى أموالى كما يحلو لى وهاك بائنتك .

" وناولتنى مظروفا ضخما مختوما .

" ونظرت إليها عندئذ مليا ثم قلت لها :

- أنت أمى طبعا ، ولكنها أرتدت ثلاث خطوات إلى الوراء وأخفت عينيها بيديها حتى لا ترانى ، وأخذها الرجل بين ذراعيه وهو يصيح بى :

- هل أنت مجنون ؟.

فأجبته :

- لا أنني أعلم جيدا أنكما أبواى ، فالإنسان لا ينخدع فى مثل هذه الظروف ، اعترف وسوف أكتم الحقيقة .. لن أحمل لكما أى حقد ، وسأبقي كما أنا .. نجار كما عرفتمانى .

ولكنه أرتد نحو الباب وهو يجر زوجته التى راحت تنتحب وأسرعت أنا إلى الباب فأوصدته ووضعت المفتاح فى جيبى قائلا :

- انظر إليها وحاول أن تنكر أنها أمى .

وعندئذ أحتد وأصفر لونه وتملكه الرعب عندما خطر له أن الفضيحة التى تجنبها حتى تلك اللحظة وشيكة الوقوع وأن مركزهما الأجتماعى وأسمهما وشرفهما ، وكل ذلك سيضيع فى لحظة واحدة وتمتم بقول :

- أنت وغد ، تريد أن تبتز أموالنا .حقا أتق شر من أحسنت إليه .

أما أمى فقد طفقت تردد فى أرتياع ظاهر .. هلم بنا .. هلم بنا .

والتفت هو إلى وقال :

- إذا لم تفتح الباب فورا أرسلت بك إلى السجن بجريمة التهديد وأبتزاز المال بالقوة .

وكنت رابط الجأش متمالك الوعى ففتحت الباب ولم البث أن رأيتهما يختفيان فى الظلام .

وعندئذ خيل لى فجأة أنني أصبحت يتيما، وتملكنى حزن بالغ مشوب بالحقد والغضب والأشمئزاز .. وأحسست بثورة عارمة تجتاح كيانى .. ثورة على العدل والأستقامة والشرف والحب المنبوذ ، وجريت على ضفة نهر السين أريد اللحاق بهما ، وكان لابد لهما من أن يسلكا ذلك الطريق لكى يستقلا القطار إلى بلدتهما .

ولم البث أن لحقت بهما ، وكان الظلام قد ضرب أطنابه فسرت خلفهما فى حذر حتى لا يسمعانى ، وكانت أمى لا تزال تبكى وسمعت أبى يقول لها :

- إنها غلطتك أنت ، لماذا أصررت على رؤيته ؟ لقد كان عملا جنونيا ونحن نتمتع بما نتمتع به من جاه ومركز ، كان فى مقدورنا أن نغمره بالخيرات من غير أن نكشف له حقيقتنا ، وما دمنا لا نستطيع الاعتراف به فما الجدوى من هذه الزيارات الخطرة ؟.

وعندئذ أندفعت نحوهما وقلت متوسلا :

- ها أنتما تعترفان بأنكما أبواى لقد نبذتمانى مرة وما أظنكما تنبذانى من جديد ..

ولكنه ياسيدى الرئيس .. رفع يده وهوى بها على وجهى ، وأقسم لكم أنه

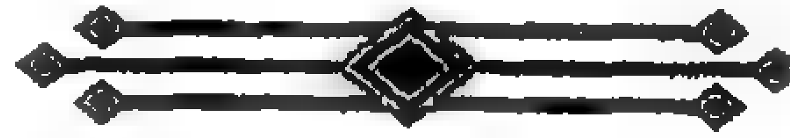
فعل ذلك ، وإذ أمسكته من ياقته أخرج مسدسا من جيبه وتملكنى الغضب عندئذ ولا أدرى ما حدث بعد ذلك ، وكان فرجارى فى جيبى فلم أشعر إلا وأنا أضربه به وأضربه كيفما أتفق .

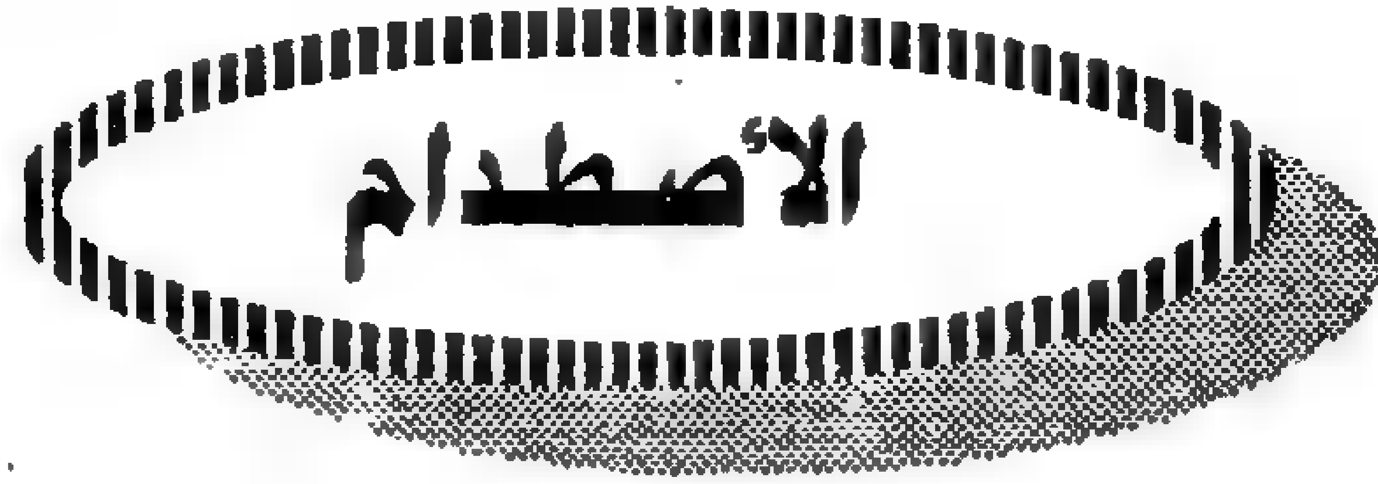
وصاحت زوجته تطلب النجدة والمعونة وهى تشدنى من لحيتى ويبدو أننى قتلتها هى الأخرى .. لا أدرى ما الذى حدث منى فى تلك اللحظة.

وعندما رأيتهما جثتين هامدتين ألقيت بهما فى النهر من غير تفكير .

هذه هى قصتى .. ولكم الآن أن تحكموا على بما تشاءون .

وجلس المتهم ، وإزاء هذا الأعتراف الغريب أجلت الجلسة للدورة القادمة وسوف تعرض القضية على القضاء من جديد ، ولكن ماذا ترونّا نفعل به لو أننا كنا من القضاة ؟.





أننى أقوم برحلات كثيرة بالسيارة ، والواقع أنها الوسيلة الوحيدة التى أتبعها فى أسفارى منذ بدأت شركات الطيران فى نقل الأمتعة والركاب ، فإن لى أسرارى الخاصة ،ولا أريد أن يطلع عليها أحد .

وعلى مر السنين وأثناء أنطلاقى فى الطريق ، كنت أرى كل يوم هيكلا أو هيكلين لسيارتين محطمتين .. وأبلغ مكان الحادث من وقت لآخر قبل أن يزيلوا الأنقاض ، وقد رأيت الكثير من ضحايا الطريق ، وكنت أعتقد أننى آكتسبت مناعة من هذه الناحية ، إلى أن كان ذلك اليوم الذى أنطلقت فيه فى طريق بنسلفانيا ، وهو طريق لا يمكن عبوره إلا بعد تسديد رسوم المرور فقد أحسست فى ذلك اليوم بالغثيان ، وأدركت أننى لم أكتسب المناعة الكافية فقد أبطأت لكى أتجاوز سيارة أسعاف ودراجتين بخاريتين لشرطيين من شرطة المرور ، كانت تقف على جانب الطريق عندما رأيت منظرا بشعا لم أستطع أن أنساه على الرغم من كل هذا الوقت الطويل .. منظرا انطبع فى ذهنى ورأيته على ضوء مصباحى الأماميين .

كانت فتاة صغيرة فى مقتبل العمر .. فى السادسة عشرة أو السابعة

عشرة على الأكثر ولن يزيد سنها عن ذلك أبدا ، كانت تلبس حذاء بكعب عال وقميصا قصير الكمين ، مفتوح الصدر ، من ذلك النوع الذى يرتديه الشباب عادة ، وكان وجهها يتألق بأحمر شفاه صارخ وتتأرجح فى أذنها اليسرى نظارة شمسية زجاجها أزرق اللون .

كلا ، لم تكن طريحة على الطريق فى هدوء وسكون ، وإنما كانت تهتز على ارتفاع نحو عشرة أقدام ، وقد أنثنى جسدها إلي الأمام ، وتعلق في قضيب حديدى له رأس مدببة قائم فى عمود من أعمدة التليفون وقد أخترق السهم المعدنى للقضيب ظهرها وبرز طرفه من صدرها .. وكان الشرطيان ينظران إلى حركة المرور أو يحدقان فى طرفى حذائهما ، في حين أنهمك ممرضان فى تخليص جسد الفتاة من السهم .

كان من السهل تصور ما حدث ، فقد كانت هناك سيارة صغيرة حمراء واقفة على حافة الطريق وقد أنفجرت أحدى عجلاتها ، وكان هناك شاب ممتقع الوجه ، جالسا خلف عجلة القيادة والدموع تنساب من عينيه وترسم أخاديد براقة على وجنتيه ، وقبل أن يأتى البوليس وينير المكان بكشافاته ، كان هذا الجزء من الطريق مظلما بما فيه الكفاية ، وقد أوقف الشاب سيارته على جانب الطريق لا يدال العجلة التى انفجرت بغيرها ، ثم جاءت سيارة أخرى مسرعة وتجاوزتها وصدمت الفتاة صدمة عنيفة طوحت بها في الفضاء ، وكانت الصدمة من العنف بحيث طارت الفتاة وأنغرزت فى السهم .

ولم تكن هناك أية سيارات أخرى بجوار السيارات الرسمية ، وكان هذا دليلا على أن السائق الأرعن قد بادر بالفرار .

وكانت سيارات أخرى قد توقفت على بعد مائتى متر على جانب من

الطريق ، يعانى أصحابها من الغثيان ، وأمتلأ فمى بطعم مرير ، فأنزلت زجاج النافذة وأنحنيت وقد تملكنى الغثيان .

وأنا اقود سيارتى دائما بحرص ولا أتعدى الحدود أبدا ، ولكننى الآن وبسبب ذلك السائق الأرعن خفضت سرعتى عشرة أميال تحت السرعة المسموح بها فى الطريق ، فان بوليس المرور لن يلبث أن يملأ المكان ويفتش كل ركن فيه ، ولم أشأ أن أجازف بأن يستوقفنى أحدهم ، وكانت أمامى طبعا كل الفرص للأفلات من كل المراقبات ، ولكننى آثرت مع ذلك أن أضع ثقتى فى اختبار واقعى .

وأنطلقت نحو ثلاثين أو أربعين ميلا أخرى قبل أن أفكر فى الوقوف للأستراحة وتناول شئ من الطعام ولكى أتزود بالوقود وكانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا ، وكانت فيلادلفيا ، نهاية رحلتى ، لاتزال بعيدة ، وملأت خزانى بالبنزين ثم توقفت أمام مطعم ، وهبطت وأغلقت أبواب سيارتى فى عناية كبيرة .

وكنت جالسا فى هدوء أمام المائدة ، أتناول القدح الثانى من القهوة وأفكر فى العمل الذى ينتظرنى فى فيلادلفيا عندما أحسست أن هناك من يراقبنى ، وكان الرجل الوحيد الذى يجلس خلفى رجلا أنيق الثياب وخط المشيب شعر فوديه ، ومن النافذة التى بجوارى أستطعت أن أرى سيارتى وعليها اللوحة المعدنية التى تحمل رقم ولاية يوتاه .

لم يكن يبدو على الرجل أنه مهتم بى ، وكان أنيق الثياب بحيث لا يمكن أن يكون شرطيا ، كانت بذلته وأزرار قميصه وساعته وخاتمه الماس ، كان

كل ذلك ينطق بأنه يساوى خمسة آلاف دولار على الأقل .. والوجه الذى ولدت به ليس هو الوجه الذى أظهر به الآن ، ولا يمكن أن يكون عرفنى من صورة فوتوغرافية قديمة لى ، ولهذا أقصيته من ذهنى وعدت إلى قهوتى .

وعندما نهضت لكى أخرج رأيته يتبعني إلى الخارج وتحولت إلى اليمين ، وانعطف هو إلى اليسار ، وتوقفت أمام أحدى الفترينات وتظاهرت بأننى أتأمل فيها ورأيته يمضى نحو سيارة مكشوفة فارهة تبرق كما لو أنها طليت بعدة طبقات من " اللاكيه ".

لم يكن خلفى عندما ارتقيت المطلع المؤدى إلى الطريق العام ونظرت فى مرآتى العاكسة لكى أرى إذا كانت هناك مصابيح سيارة تنطلق خلفها ولكن لم يخترق الظلام أى نور ، وأنطلقت بالسرعة العادية ، وأعنى بها أربعين ميلا فى الساعة وأنا لا أنفك أنظر فى مرآتى العاكسة من وقت لآخر فقد كان هناك شئ أثار قلقى من هذا الرجل الذى كان يجلس فى المطعم .

وبعد أن قطعت نحو ميلين أو ثلاثة ، رأيت كتلة سوداء تقترب منى بسرعة ، كانت عبارة عن سيارة مطفأة الأنوار تتقدم بسرعة ثمانين ميلا على الأقل ، بدلا من أن يعمل سائقها لكى يتجاوزنى بدا أنه يستهدف مصباحى الخلفيين ، وعندما رأيت أن الأصطدام واقع لا محالة ضغطت على جهاز السرعة ، وأسندت رأسى على مسند مقعدى وقد توترت ذراعاى لكى أخفف من وقع الصدمة .

ولم يكن لهذا تأثير كبير ولكننى نجوت من شج رأسى ، وفقدت السيطرة على سيارتى التى اندفعت عبر الطريق إلى خندق لتصريف المياه ، ثم توقفت وهى تتأرجح فى وضع مهتز بعجلتيها الأمامتين اللتين أستقرتا فى

الخندق ، وعجلتها الخلفيتين على أرض الطريق ، وتابعت السيارة الأخرى طريقها نحو مائتى متر ،وهى ترش الطريق بالماء والزيت ويقطع من محركها قبل أن تتوقف منزلقة .

وخرج السائق منها ، وأقترب منى وفى يده مصباح كهربائى ، وكانت هيئته كهيئة امرأة عجوز خارجة لكى تقوم بنزهتها الصباحية ، ولم يكن هناك أى شك فى أنه رجل المطعم .

وفككت حزام الأمان ، وخرجت من سيارتى التي تهشمت ، كانت مؤخرتها قد أنكمشت نحو قدم على الأقل ، وأنبعج خزان البنزين ، وأنسكب الوقود نفسه فى الخندق وكون مستنقعا تحت السيارة ، وأنبعثت من البنزين المنسكب رائحة نفاذة .

وسألنى يقول :

– هل أنت بخير ؟.

وتجاهلت سؤاله لأننى كنت أغلى من الغضب بحيث لم أستطع النطق ، وأحسست برغبة جامحة فى أن أجز رقبته بقطعة من الصفيح إذا أحترقت سيارتى قبل أن أتمكن من تفريغها وهدأتنى هذه الفكرة .

وعندما أقبل بوليس الولاية ، كنت قد أخرجت من المقعد الخلفى حقيبتين وشنطة العينات والحقيبة التى تضم حوائجى الخاصة ، وكنت جالسا فى هدوء فوق شنطة العينات ، وما كان ليخطر على بال أحد ما كان يدور فى رأسى من أفكار قاتلة .

وما أن توقفت سيارة الشرطة حتى أسرع الرجل الأنيق نحوها وخاطب

الشرطيين الذين بها قائلا :

- أقبضا على هذا الرجل ، أنه أرتد بسيارته إلى الخلف فجأة وتسبب في الأصطدام .

رفعت عينى فاذا به يشير إلى بأصبع الاتهام ، وفى عينيه وميض من التحدى ، كان يتوقع أن أحتج كل الاحتجاج وقال أحد الشرطيين .

هدئ روعك يا مستر أندرسون .سوف نهتم به .

ولو أننى كنت أنوى أن أنكر الحقيقة فأن قوله هذا كان كافيا لكى يجعلنى أغير رأيى ، فقد دل على أن الرجل معروف للبوليس ، وقد دعاه الشرطى بأسم مستر أندرسون ، وسيكون لكلمته وزن أقوى من كلمتى . وقال أندرسون :

- لا تصدقا ما يقول ..لاشك أنه ثمل أو مجنون .

لم أتحرك ، وتركت الشرطيين يقتربان منى ، ثم نهضت واقفا وقدمت لهما بطاقتى الخضراء ورخصة القيادة التى تحمل اسم ولاية يوتاه ، وكانت أوراقا لها تأثيرها ، وأنا أجهل كل الجهل شكل البطاقات الخضراء الحقيقية وشكل رخصة القيادة التى تصدرها ولاية يوتاه ، ولكننى كنت واثقا ، مع ذلك من أنها لا يمكن أن تكون أكثر صحة من تلك التى زيفها لى صاحب المطبعة التى أتعامل معها .

كانت رخصة القيادة مطبوعة بالحبر الأزرق على ورق ذهبى اللون وعليها بصمة أبهامى وصورة ملونه لى ، أما البطاقة الخضراء فكانت مطبوعة هى الأخرى بالحبر الأزرق ولكن على ورق ذهبى أكثر دقة ، وتحمل نفس

الرقم الموجود على اللوحات المعدنية بسيارتى ، وكان لابد من رفع هذه اللوحات المذكورة بكل عناية ودقة للتأكد من أنها قديمة جدا وأنه أعيد طلاؤها .

ألقى الشرطى نظرة إلى الأوراق ثم دسها فى جيبه وقال :

– أنك سمعت أقوال مستر أندرسون ، فما أقوالك أنت ؟.

هززت كتفى ورفعت يدى دلالة على عجزى وقلت :

– لا أستطيع أن أقول الكثير يا سيدى ، أظن أن مستر أندرسون رأى الحادثة على هذه الصورة ، وربما أكون قد انحرفت قليلا بعد أن تجاوزته ولكن لم يكن هذا سبب وقوع الحادث ، فقد مر وعل أمامى فجأة ، فدست على الفرامل دون وعى مني فاصطدم بى مستر أندرسون ، هكذا وقع الحادث .

هز أندرسون رأسه مشدوها ، ورأيت على ضوء مصباح سيارة البوليس عينيه تضيقان ، وقال أحد الشرطيين :

– هل يبدو هذا القول مقبولا لك يا مستر أندرسون ؟.

قال أندرسون :

– آه نعم أظن أن هذا هو ما وقع حقا .

ولا أدرى ما الذى مر بذهن أندرسون ، ولكننى أبتهلت إلى الله فى قرارة نفسى أن لا يمضى الشرطيان للتحقق مما اذا كانت سيارتى قد تركت آثار صرير عجلاتها على الأسفلت لأنهما لن يجدا شيئا من ذلك .

وجاءت رافعة وأبطأت ثم وقفت على بعد خطوات منا ، ولا ريب أن

السائق كان لديه جهاز إرسال واستقبال ، ولاريب أنه التقط نداء الشرطيين عندما أتصلا بقسم البوليس لابلاغه بمكاننا .

طلبت من سائق الرافعة أن يجر عربتي ويخرجها من الخندق الممتلئ بالبنزين ، ولكنني قلت له أن يتركها مكانها فى أنتظار تعليمات شركة التأمين ، وحاول السائق أن يقنعني أن هذا العمل سيكلفني مبلغا أكثر ،لأنه سيضطر إلى القيام برحلة أخرى .

ولكنني صممت على رأيي ، لأنني لم أشأ أن تنقل سيارتي إلى أى جراج لأنني لن أستطيع استردادها عندما أريد وطلب أندرسون منه أن يقطر سيارته الفارهة ، فاغتبط السائق بذلك لأنه لم يكن يستطيع أن يقطر أكثر من سيارة فى المرة .

وبعد أن ابتعدت الرافعة وهى تجر وراءها السيارة المكشوفة ، صعدت أنا وأندرسون فى المقعد الخلفى لسيارة البوليس ومضينا إلى القسم لتحرير محضر بما حدث .

وطلبت من الشرطى أن يرد لى أوراقي قائلا أننى سأحتاج إليها لكتابة تقريرى طبقا للمعلومات التى بها فأعادها إلي على الفور لأنه صدق روايتى عن الحادث دون تردد .

وأجلسنا رجال البوليس أمام منصة طويلة لكى يكتب كل منا تقريره وراح أندرسون يرمينى بنظراته مرارا ، وهو يرنو إلى بركن عينيه ، لأنه لم يستطع أن يفهم لماذا كذبت ، وأزعجه هذا الأمر وأقلقه ، ورميته أنا أيضا ببضع نظرات ، وذلك لكى أتبين عنوانه من البطاقة التي كان يملؤها ، وحرصت على أن لا أتكلم معه ، فسوف يكون هناك الوقت والمكان

المناسبان لذلك .

وعندما فرغ رجال البوليس منى خرجت ومضيت إلى أقرب مدينة حيث أستأجرت سيارة وعدت بها إلى مكان الحادث ، ورفعت اللوحات المعدنية من سيارتى ثم نزعت اللوح الداخلى لباب السيارة المجاور لمقعد القيادة ، حيث كان هناك مدفع رشاش فى المكان المعد لجهاز فتح الباب وأغلاقه كما كان هناك مسدس عيار ٢٢ مجهز بكاتم للصوت ، ومجموعة كاملة من أوراق الشخصية وعدد لا بأس به من فئة الأوراق المالية من فئة المائة دولار يكفل لى توكيل محام للدفاع عنى إذا ما كانت هناك حاجة لذلك .

ووقفت بعد نحو ميل لكى أدفن اللوحات المعدنية ، ومزقت رخصة القيادة والبطاقة الخضراء المطابقتين للوحات المعدنية ودفنتها معها هى الأخرى ، فأننا الآن فى عهد الكمبيوتر، ولابد من أبرازها اذا ما وقع حادث ولكن اذا لم يجد أولو الأمر تحت أيديهم لا اللوحات المعدنية ولا الأوراق فلن يكون لديهم أية وسيلة للتحقق من صحة المستندات وتتبعها حتى المنبع .

ومضيت بعد ذلك إلى حيث يقطن أندرسون .

وفتح لى الباب قبل أن أقرع الجرس وقال :

– كنت فى انتظارك .

وسادت لحظة تردد ثم دعانى للدخول ، بعد أن ارتد بضع خطوات وقال :

– ادخل ولا تخف سوف نستطيع أن نتكلم فى هدوء ، فان زوجتى والخدم مازالوا راقدين .

وبعد أن أغلق الباب خلفنا أخرجت المسدس المزود بكاتم الصوت

وصويته إلى جبينه وقلت :

– أنك كلفتنى الكثير من المال فكم معك من النقود السائلة ؟ لا ترغمنى على أن أقلتك لكى أحصل عليها .

– أذن فأنت تعرف .. أليس كذلك ؟.

– طبعا ، أعرف لو أنك كنت تريد ألا يفطن إليك أحد فما كان عليك إلا أن تصطدم بسيارة آتية من الناحية المضادة .

قطب جبينه وقال :

– لم أفطن إلى ذلك .

– كان يجب أن تفعل ، فما من أحد يتسبب فى مثل هذا الحادث الذى تسببت فيه ما لم يكن لديه سبب وجيه ، ولم أكن بحاجة إلى أكثر من ثوان لكى أدرك أنك تصرفت هكذا لإخفاء أضرار لحقت بسيارتك نتيجة لمصادمة سابقة ، فأنت السائق الأرعن الذى قتل الفتاة وهرب ، ولا ريب أنك كنت ثملا .. ولكنك كنت لا تزال واعيا بحيث أثرت الفرار ، وأدركت أن البوليس سيعاين جميع السيارات عند آخر الطريق فحاولت أن تسبب فى حادث آخر يغير الأضرار التى لحقت بسيارتك .

– خطر لى أنك ستطالب ببعض النقود ، وقد جمعت كل ما لدى وأستطعت جمعه من أموال سائلة ، وإذا لم يكفك هذا فأننى أستطيع أن أبيع بعض الأسهم .

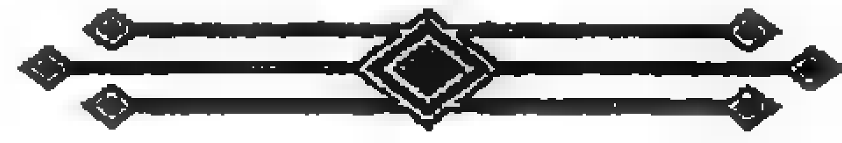
قلت دون أن أتحقق مما فى الصندوق :

– سوف يكفى .

ثم أطلقت عليه رصاصتين أصابتاه فى قلبه .

ولم أقتله من أجل المال ، وأنما عادت إلى ذهنى صورة جثة الفتاة المغروزة فى القضيب الحديدى لعمود التليفون .

وكان ذلك سببا كافيا .





الكـابــوس

– أنت نائم الآن يادافيد

– نعم ، إنني نائم .

– أريد أن تستريح بضع دقائق ريثما أتحدث إلى زوجتك .

– حسن جدا يا دكتور . سأستريح .

– أن زوجك الآن في حـالة من التنويم المغناطيسي الخفيف يا مـدام كاربنتر، ويمكننا أن نتحدث دون أن نزعجه .

– مفهوم يا دكتور مارستون .

– حدثيني عن تلك الكوابيـس التي تقلقه ، تقولين أنها بدأت ليلة زواجكما .

– نعم يادكتور ، منذ أسبوع أتينا هنا إلى بيتنا الجديد ، بعد أنتهاء الحفلة مباشرة ، وتناولنا عشاء خفيفا ، ولم نمض إلى الفراش قبل منتصف الليل ، وكان الفجر قد بزغ لتوه عندما أيقظني دافيد وهو يصرخ في نومه .. كان يتقلب ويهذي وينطق بكلمات غير مفهومة فأيقظته .. كان

شاحبا ويرتجف وقال لى أنه رأى كابوسا .

– وهل تتذكر شيئا ما ؟.

– كلا لا شئ على الاطلاق ، وتناول قرصا منوما وعاود النوم ولكن بدأ كل شئ ثانيا فى الليلة التالية ، ثم الليلة التى تليها وكل ليلة بعد ذلك .

– إذن هو ، كابوس يأتى بصفة دورية ..لا داعي لانزعاجك إننى أعرف داڤيد منذ طفولته ، وأظن أننا نستطيع أن نخلصه من هذا الكابوس دون صعوبة .

– أرجو ذلك يا دكتور .

– من المحتمل أن ريتشارد يحاول الظهور من جديد .

– ريتشارد ؟.. ومن هو ريتشارد ؟.

– ريتشارد هو الشخصية الأخرى لداڤيد .

– أنا لا أفهم .

– عندما كان داڤيد فى الثانية عشرة من عمره أصيب فى حادث سيارة تسبب فى صدمة عصبية شديدة ونتج عنها نوع من انفصام الشخصية وأزدواجها ، فهناك داڤيد الحقيقي وهناك الآخر ، وهذا الآخير شخص معدوم الضمير وشرير وبالغ التعقيد ويتحدث داڤيد عنه فيقول إنه أخوه التوأم ، يعيش معه فى ذهنه .

– هذا غريب .

– هناك حالات كثيرة مماثلة فى تاريخ الطب .. عندما يشعر داڤيد بالتعب أو الملل فإن ريتشارد هو الذى يهيمن على أفعاله وسلوكه ويرغمه على أن

يمشي وهو نائم ، وأن يشعل النار في أغطية فراشه ولايسع دافيد في تلك اللحظات إلا أن يمتثل لريتشارد ، ويكون عاجزا في بعض الأحيان عن تذكر ما حدث ، وفي أحوال أخرى يظن أنه وقع فريسة لكابوس .

– هذا أمر مزعج جدا يا دكتور .

– أنني عالجت دافيد في تلك الحين ،.وكنت أظن أنني خلصته تماما من ريتشارد، ولكن من المحتمل أن .. سأستفهم من دافيد الآن عن هذا الكابوس الذي يعود إلى الظهور ، ومن المحتمل أن ترشدنا التفاصيل التي سيذكرها لنا إلى المعلومات التي نحتاج إليها .. دافيد ..؟

– نعم يا دكتور ؟.

– أريد أن تذكر لي كل شئ عن الحلم الذي يضايقك ، أنك تذكره الآن ، أليس كذلك ؟.

– الحلم ؟ .. آه نعم أنني أتذكره .

– لا داعي للأنفعال .. عليك بالهدوء التام واذكر لي هذا الحلم .

– حسن .. لن أنفعل .. سألزم الهدوء .. الهدوء التام .

– عظيم ، قل لي ، متى رأيت هذا الحلم لأول مرة ؟.

– أول مرة ؟ آه ، كان ذلك في الليلة التالية لزواجنا أنا وآن ..

كلا ، كلا إنني مخطئ كان ذلك في الليلة السابقة لزواجنا .

– هل أنت واثق مما تقول ؟.

– نعم ، فقد قضيت طوال النهار في تسوية أعمالي في مكتب المحاماه

لكى أخذ أجازة لبضعة أيام ، وفى المساء أتيت لكى أرى البيت الجديد الذى اشتريناه في ريفرديل ، والأطمئنان على أن كل الترتيبات تم إنجازها وكانت الساعة قد أشرفت على الحادية عشرة عندما عدت إلى سكنى بالمدينة وكنت متعبا ومرهقا إلى حد كبير .

ومضيت لكى أنام ، ولكن النوم جافانى لفرط ما كنت أشعر به من تعب ، وتناولت قرصا منوما وما أن غلبنى النوم حتى بدأت أحلم .

– وكيف بدأ الحلم يا داڤيد ؟.

– حلمت أننى أسمع صليل التليفون ، وهو موضوع فوق منضدة الزينة ، بجوار الفراش ، فجلست وتناولت السماعة ، وفى تلك اللحظة بدا لى كل شئ حقيقيا، وخيل لى أننى رددت فعلا على التليفون ثم لم ألبث أن أدركت أننى كنت أحلم .

– وكيف أدركت ذلك يا داڤيد .

– لأن لويز هى التى كانت تحادثنى ، وكنت أعرف حتى وأنا نائم ، أن لويز قد ماتت .

– ومتى ماتت لويز يا داڤيد ؟.

– منذ سنة كانت منطلقة بسيارتها فى جبال فرجينيا للذهاب إلى أهلها ولكن السيارة انحرفت عن الطريق ، وماتت محترقة .

– وعندما سمعت صوتها فى التليفون أدركت طبعا أنك تحلم .

– طبعا .. قالت لى :

– داڤيد أنا لويز .. ماذا بك يا داڤيد ؟.. لماذا لا ترد ؟ وعجزت عن

النطق بأية كلمة ثم قلت فى حلمى :

لا يمكن أن تكونى لويز ، فإن لويز ماتت .

فقالت بذلك الصوت الساحر الذى كنت أعرفه عنها فى حياتها :

أعرف ذلك يا دافيد أنا ميته حقا .

قلت لها :

إننى أحلم .. سوف أستيقظ بعد لحظة . فأجابتنى نعم ياحبيبى أريد أن تكون مستيقظا عندما أتى إلى بيتك .

إننى سأخرج من القبر الآن وسأكون عندك بعد قليل .

وأظن أنها أعادت السماعة بعد ذلك ، وفجأة تغير كل شئ بتلك السرعة التى لا نجدها إلا فى الأحلام ، كنت جالسا بكامل ثيابى فى مقعد كبير ، أدخن سيجارة ، وأنتظر .. كنت أنتظر أن تغادر لويز المقبرة وأن تأتى إلى مسكنى ، وكنت أعرف أن ذلك أمر مستحيل ومع ذلك ، وكما يتقبل المرء المستحيل فى الحلم ، انتظرت .

وكنت قد فرغت من تدخين سيجارتين عندما دق جرس الباب ، واجتزت الغرفة وفتحت الباب ، ولكن لم تكن لويز هى التى طرقت الباب وإنما كان ريتشارد .

– أخوك التوأم ؟.

– نعم أخى التوأم ، ولكنه كان أطول منى وأقوى وأجمل كان واقفا ينظر إلى ، وكان يبتسم ، وتنطق عيناه بنفس الاستهتار الذى أعرفه عنه ، وقال :

– ما هذا يا دافيد ؟ ألا تدعونى للدخول بعد فراق خمسة عشرة عاماً؟.

صحت به :

– كلا يا ريتشارد ليس من حقك أن تعود .

قال :

– ومع ذلك فقد عدت .

ودفعني جانبا ودخل وهو يقول :

– منذ مدة طويلة وأنا أنوى المجئ لزيارتك ، ويبدو لى أن الليلة هى أنسب وقت لذلك .

فسألته :

–لماذا أتيت ؟ أنت ميت قتلناك ، أنا والدكتور مانسون .

قال :

ومع ذلك فلويز ماتت هى الأخرى ، ولكنها ستعود الليلة فلماذا لا أحذو أنا حذوها ؟.

– ماذا تريد ؟.

– لا أكثر من أن أساعدك يا دافيد فأنت بحاجة إلى من يرافقك الليلة ، إنك شديد الأنفعال ، ولا ينبغى أن تواجه وحدك زوجة ميتة .

توسلت إليه قائلا :

– أخرج يا ريتشارد .

ولكنه أجابني :

– هناك شخص بالباب ..لا ريب أنه لويز .. سأتركك وحدك معها ، ولكن

تذكر أنني هنا إذا أحتجت إلى

ومضى إلى الغرفة الأخرى بلا مبالاة ، ودق الجرس من جديد ، في إلحاح وبدون انقطاع ، ففتحت الباب ، ورأيت لويز أمامى كانت ترتدى ثيابا كلها بيضاء ، تماما كما كانت عندما دفنتها ، والنقاب الذى غطوا به وجهها المحترق كان يهتز حول رأسها ، وهى تمر أمامى ودخلت الغرفة وجلست فى هدوء ومضت مدة طويلة لم تنطق فيها بشئ ثم قالت أخيراً .

– حسن يا داڤيد ، هل أصبت بالخرس ، ولكن أغلق هذا الباب ، فإن هناك تيارا ولست معتادة على التيارات الهوائية ، فإننى بقيت مسجونة فى التابوت أكثر من سنة كما تعلم

وأغلقت الباب وتدفقت الكلمات من بين شفتى ، كالسيل فقلت

– ماذا أتيت تفعلين هنا ؟ ولماذا ؟ أنت ميتة

أنفجرت ضاحكة وقالت

– هل ظننت حقا أننى مت يا داڤيد ؟ أنا لم أمت أبدا كل مافى الأمر أننى أردت أن أداعبك قليلا

قلت . تداعبيني ؟.

واستمرت فى ضحكها كما لو كانت أصيبت بأزمة قلبية ثم قالت أخيرا .

– نعم يا داڤيد إن رد فعلك غريب إزاء الأحداث غير المتوقعة بحيث إننى لم أستطع مقاومة رغبتى فى القيام بدور الأشباح لكى أرى ماذا تفعل.

صرخت

- أنت تكذبين ، أنت ميتة ، وقد حضرت دفنك .

طرحت عنها نقاب وأرتني وجهها .. كانت وجنتاها متوردتين وعيناها تبرقان ، وشفتاها تفتران عن ابتسامة ماكرة وتكشف عن أسنان ناصعة البياض .

- إن التى دفنت أنما هى فتاة أصطحبتها معى فى السيارة لكى تمضى إلى مكان ما ، وعندما رأيت عقب الحادث أنها ماتت خطر لى على الفور أن أضع خواتمى فى أصابعها وأن ألقى بحقيبتى بجوارها ، ثم أضرمت النار فى السيارة .

- قلت وأنا أتهالك فوق مقعد

- ولكن لماذا فعلت ذلك ؟

- لأنه طاب لى أن أفعل ذلك ، كنت منك أكثر مللا عنك منى وأردت أن أحيا حياة أخرى ، ثم إننى كنت أعرف أننى عندما أكتفى من حياتى الجديدة أستطيع العودة دائما إلى مكانى القديم ، وها أنذا الآن ، بعد أن أصبحت مفلسة .

- ولكن يجب أن أعقد قرانى بآن غداً .

- أعرف ذلك ، فإننى أقرأ الجرائد ، وقد خطر لى أنك قد تؤثر أن أختفى من حياتك ، وأنا موافقة يا عزيزى داڤيد .

سأرحل وأعاود القيام بدور الميتة ، ويمكنك أن تتزوج بأبنة أفضل عميل لك ، ولكننى بحاجة الآن إلى نقود .

- كلا لن أعطيك سنتا واحدا فأنت ميتة .

قالت

– ولكننى أرى من مكانى هذا عناوين جرائد الغد . زوجة محام شاب مشهور تخرج من قبرها   الزوجة التى قيل أنها ماتت تمنع الزواج

– صحت :

– كلا لن أتركك تفعلين هذا .

– اسمع .. لست بحاجة إلا إلى عشرة آلاف دولار ، سأطلب الطلاق ، سرا وسيصبح زواجك الثانى قانونيا بعد ذلك ، وها أنت ترى أن كل شئ سوف يكون على مايرام .

لم أستطع الرد كان كل شئ يدور فى ذهنى أحسست بالضعف والحيرة والارتباك ، وأدركت فى أعماقى أننى أعيش كابوسا ومنعنى هذا الأحساس وحده من الإغماء ، ونهضت لويز وقالت :

فكر فى الأمر سأضع قليلا من المسحوق فوق أنفى ، وأمامك خمس دقائق لكى توقع لى على شيك .

وخرجت من الغرفة ، ولم أدر ماذا أفعل .. ودفنت وجهى بين يدى وأنا أتمنى بكل قواى أن أصحو ، وعندما رددت البصر حولى من جديد , أيت أن ريتشارد واقف بجوارى ، وقال لى :

– يجب أن أقول لك إنك أسأت التصرف يا دافيد ، لقد تملك الفزع لسماعك دعابتها السخيفة عن موتها ، وهى تعرف الآن أنك خسرت المعركة

صحت

ولكنها ميتة حقا . كل هذا حلم

من دا الذى يستطيع التمييز بين الحلم والواقع ؟ أنصحك أن لا تندفع إلى المغامرة إذا أعطيتها ما تريد من نقود فسوف تعود لمطالبتك بالمزيد

قالت يائسا

- ولكننى لا أستطيع أن أفعل شيئا .

- بل تستطيع إن لويز سبق أن ماتت . ويجب أن تموت مرة أخرى .

- كلا . لن أصغى إليك

- أفهم من ذلك أنه لابد لى من التصرف وأن أقوم بكل شئ كما كنت أفعل ونحن طفلان انظر إلى ياداڤيد .

- كلا

وحاولت أن أشيح بوجهى عنه ولكنه تابعنى ببصره بالحاح واصرار وهو يقول .

- انظر إلى عينى جيدا يا داڤيد ..

- كلا ، إننى لا أريد لا أريد

ولكننى لم أستطع تجنب نظرته ، أحسست بنفس المشاعر التى سبق أن أحسست بها ونحن طفلان ، واتسعت حدقتا عينيه وأخذتا تتسعان حتى أصبحتا أشبه ببحيرتين أوشك أن أغرق فيهما وقال :

- أسمع يا داڤيد سوف أسيطر على جسدك كما كنت أفعل من قبل ويجب أن تعود إلى حيث كنت أنا طوال هذه المدة ..فى أغوار ذهننا

قاومت لحظة أخرى . ولكن عينيه الواسعتين كانتا بجوارى ، وراحتا تقتربان منى كل دقيقة أكثر فأكثر ، ثم لم يلبث ريتشارد أن اختفى ، وأدركت أنه تغلب على وأنه لا حيلة لى . كنت أرى أو أسمع ، ولكن كان من العسير على أن أتدخل أو أن أمنعه مما يريد أن يفعل .

وعادت لويز إلى الغرفة ، وكانت عيناها تبرقان ، واثقة من نفسها كل الثقة وقالت .

- حسن يا دافيد هل اتخذت قرارك ؟

- نعم يا لويز

كان صوت ريتشارد أشد عمقا وقوة واقتناعا من صوتى وبدت الدهشة على لويز إزاء هذا التغيير وقالت بعد لحظة

- أكتب الشيك لحامله ، أما الطلاق فسوف يتم فى لاس فيجاس ، ولن يربط أحد بينى وبينك فإن اسم كاربنتر من الأسماء الشائعة

قال لها ريتشارد

- لن يكون هناك شيك على الإطلاق

- سوف تكون هناك فضيحة فى هذه الحالة ، وسوف يؤثر ذلك فى شهرتك

- ولن تكون هناك فضيحة كذلك .. وليكن معلوماً لك أننى لست دافيد .. أنا ريتشارد

قالت فى شئ من الحيرة :

– ريتشارد ؟.. ولكن ماذا تعنى بحق الشيطان .

– أنا الأخ التوأم لدافيد ، أعنى ذلك الذى يقوم بالأعمال التى لا يستطيع دافيد القيام بها بنفسه .

– أنت فى منتهى الغباء ، إننى ذاهبة الآن أمامك مهلة حتى الساعة السابعة من صباح الغد لكى تغير رأيك وتعطينى الشيك .

– لن يكون هناك أى شيك ، ليس لديك أية نية للوفاء بوعودك وأنا أعلم ذلك .

وتقدم ريتشارد خطوة إلى الامام ، وأستولى الفزع على لويز لأول مرة وتحولت كما لو أن فى نيتها الفرار ، ولكنه أمسك بذراعها وأرغمها على أن تواجهه ثم أطبق بيديه على عنقها .

أما أنا فلم أستطع أن أفعل شيئا فيما عدا النظر إلى أصابعه وهى تشدد الضغط على عنقها ، ورأيت وجه لويز يتغير لونه وجحظت عيناها وقاومت نحو ثلاثين ثانية وهى تحاول أن تركله بقدميها وأن تنشب أظافرها فيه ، ثم كفت عن المقاومة وفقدت الرشد وامتقع لونها وانساب اللعاب من ركنى شفتيها وخرجت مقلتاها من محجريهما ، واستمر ريتشارد يضغط على عنقها فى هدوء حتى تحقق من موتها ثم تركها تقع على الأرض كما لو كانت قطعة من الثياب القذرة وقال :

– يمكنك أن تتكلم الآن يا دافيد .

– انك قتلتها ، مسح ريتشارد شفتيه بمنديله ثم قال

– هذه مسألة تستحق المناقشة هل قتلتها أم لا ؟ هل كانت على قيد

الحياة أو ميتة عندما أقبلت هنا .

قلت فى شرود :

– أن كل شئ يختلط على بسببك . كانت ميتة طبعا وأنا الآن أرى حلما ولكن ..

– ولكن لا يمكن أن نترك جثة ممددة فوق البساط فى غرفتك هكذا حتى فى الأحلام . أليس كذلك ؟ يخيل لى أننا يجب أن نعيدها إلى المكان الذى جاءت منه ، أى إلى مقبرة فيرفيلد .

– ولكن هذا محال .

– محال بالنسبة لك أنت . أما بالنسبة لى فلا ، فسوف أحمل لويز إلى المصعد وأهبط بها إلى الدور الأرضى وأنقلها إلى سيارة أجرة وأمضى بها إلى المقبرة ، أما أنت فسوف تلزم الصمت إلى أن أسمح لك بالكلام .

وبدأ فى تنفيذ خطته الجنونية بكل هدوء . فلبس قبعتى وقفازى ثم أخرج نقاب لويز من حقيبتها وشبكه فى قبعتها ونفض معطفها وأعاد تصفيف شعرها، وكان قد تشعث أثناء المقاومة ثم حمل الجثة أخيراً بين ذراعيه ومضى بها نحو المصعد كما لو كانت طفلة راقدة .

وضغط على زر المصعد لاستدعائه وبقى جامدا مكانه وهو يصفر وجثة لويز بين ذراعيه . وظهر المصعد بعد ثوان قلائل .

وفتح جيمى عامل الليل الباب ، وابتدره ريتشارد قائلا وهو يضع قدمه داخل المصعد .

– حادث مزعج بسيط يا جيمى

وكان قد دخل المصعد بانحراف لكي يتمكن من أدخال لويز ، وفيما هو يفعل ذلك وقعت حقيبة الميتة فانحنى جيمى ليلتقطها، واستطرد ريتشارد يقول فى هدوء وبدون أرتباك .

– لاريب أن هذه السيدة الشابة قد أفرطت فى الشراب قبل أن تأتى إلى هنا، فقد قدمت لها كاسا واحدة من الكوكتيل فغابت عن وعيها على الفور ، هل تستطيع أن تستدعى سيارة أجرة عند الباب الخلفى ؟.

– بكل تأكيد يا مستر كاربنتر .

وكان من الواضح أن جيمى قد فهم الموقف تماما .

وكنت أتوقع أكتشاف الجريمة والقاء القبض علينا ، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، فقد جاء جيمى بسيارة الأجرة وركبها ريتشارد هو ولويز وأنطلقا بطريقة عادية كما لو كان من المألوف نقل امرأة ميتة فى سيارة أجرة عبر شوارع نيويورك فى منتصف الليل ، ولكن رغم ذكاء ريتشارد فإن مثل هذه الخطة الجنونية ما كانت لتتم دون أية عقبة ، وقد وقعت هذه العقبة حين استفهم السائق عن العنوان وأجابه ريتشارد :

– مقبرة فيرفيلد .

قال السائق مقبرة فيرفيلد ، فى مثل هذه الساعة أنت تمزح يا سيدى ولم يكن ريتشارد يحب أن يأخذه أحد مأخذ الهزل فقال :

– أبدا إن هذه السيدة ميتة وسأمضى لكى أدفنها .

أستدار السائق كلية ، كان رجلا شرسا وأضطرم وجهه لفرط الغضب وقال .

– أسمع أيها السيد . أننى لا أحب الحمقى ولا المازحين ، قل لى أين تريد أن تذهب وإلا فانزل من سيارتى .

تردد ريتشارد قليلا ثم هز كتفيه وقال :

– معذرة ، لست من المازحين امض بى إلى ريفرديك رقم ٩٣٧ بالشارع رقم ٢٣٥ .

– حسن هذا أفضل .

وبعد قليل كنا ننطلق فى شوارع نيويورك ، وكانت شديدة الأزدحام فى ذلك الوقت بسبب خروج النظارة من المسارح ودور السينما ، وكان ريتشارد لا يزال يحمل جثة لويز كما لو كانت طفلة فاضطجع إلى الخلف وراح يدندن بلحن عاطفى .

وكل ما حدث بعد ذلك ما كان ليحدث إلا فى حلم ، فقد أجتزنا ميدان التيمز ، وتألقت الأنوار على وجه لويز من خلال النقاب .

وكنا نضطر للوقوف أحيانا بسبب ازدحام المرور ، وكانت الناس تنظر داخل السيارة ويتضاحكون وكان شرطة المرور يلقون إلينا نظرات سريعة دون أى اهتمام ، وهكذا نقل ريتشارد جثة امرأة عبر شوارع نيويورك المكتظة بالناس دون أن يرقى لأى منهم شك أو أرتياب .

وأنعطفت السيارة إلى شارع هنرى هدسون وأسرعت فى طريقها إلى ريفرديك وهناك توقفت أمام العنوان الذى ذكره ريتشارد وهو عنوان البيت الذى أشتريته لنقيم فيه أنا وآن .

وأخرج ريتشارد لويز من السيارة بكل حرص وتدبر لكى يخرج من جيبه

ورقة من فئة العشرة دولارات ونقد السائق أجره ثم صرفه وكانت الليلة مظلمة والشارع هادئ ولم ير أحد ريتشارد وهو يضع جثة لويز أمام باب البيت ، وأخرج المفتاح وفتح الباب وحمل الجثة إلى الداخل .

ولم يضئ النور وإنما ألقى لويز فوق الأريكة بغرفة المعيشة ثم جلس أمامها وأشعل سيجارة وقال :

– حسن يا داڤيد تستطيع أن تتكلم الآن .

قلت وأنامكروب :

– ريتشارد هل جننت ؟ أن مجيئك بلويز هنا ليس بأفضل من تركها في مسكني ، ماذا نفعل الآن ؟.

أجاب ريتشارد وهو محنق :

– أنني أفكر في ذلك ، كان يكره أن تقع عقبات تمنعه من تحقيق مشروعاته وعاد يقول :

– من المؤسف حقا أن ذلك السائق الغبى لم يرض المضى بنا إلى المقبرة .

وعندئذ هبت لويز من مكانها جالسة وهى تتميل كما يفعل الشخص المريض ورفعت يدها إلى عنقها ، وعندما بدأت تتكلم كان صوتها أجش ولم تكن الكلمات تخرج من بين شفتيها إلا بكل صعوبة قالت :

– داڤيد ..أنك ..انك حاولت أن تقتلنى حقا

تحول ريتشارد لكى ينظر إليها ، وبدت فى الظلام كما لو كانت شبحا وقال فى ضيق :

– أشعر بأنني لم أنجز مهمتي كما يجب .

وعادت تقول كما لو كانت لا تصدق ما حدث :

– أنك حاولت قتلي ، وسوف يزج بك في السجن من أجل هذا العمل الشرير ، وأعدك بذلك .

أجاب وهو ينهض ويتجه إليها متواعدا :

– أنت مخطئة كل ما هناك أنني سأضطر إلى .

وأبتعدت لويز وقد تملكها الخوف وصاحت :

– أوه ، كلا لا تقتلني بالله ، أنني أسفة لأنني عدت يا داقيد ولم يكن يجب أن أفعل .. أنني سأنصرف ، نعم .. سأرحل ياداقيد ولن أزعجك ثانية أبدا

قال في صوت كئيب :

– أنا ريتشارد ولست داقيد ، ليس من السهل قتلك يا لويز فقد سبق أن مت مرتين ومع ذلك فما زلت على قيد الحياة ، ولكن المرة الثالثة سوف تكون الحاسمة .

صحت به :

– توقف يا ريتشارد ، دعها ترحل ، أنها تقول الحقيقة ، ستذهب ولن تعود أبدا .

قال ريتشارد متهكما :

– ولكنك لا تعرف شيئا عن النساء اللواتي من جنس لويز . مهما يكن

فإن الأمر أصبح الآن بيني وبينها ، أنك تضايقني يا دافيد فاخلد إلى النوم ..نعم ، نم

احسست بأنني أفقد رشدي وغمرني الظلام ، ورأيت في حلمي أن كل شئ يحدث كما كان يحدث وأنا طفل ، فقد أستبعدني ريتشارد من حياته وراح يتصرف كما يحلو له ، ولم أعرف ماحدث بعد ذلك حتى اللحظة التى صحوت فيها ووجدت نفسي راقدا بالبيچاما في فراشي ، وكان ريتشارد واقفا في وسط الغرفة فابتسم لي وقال :

– ها أنت الآن في أحسن حال ، أما أنا فسأنصرف ولكنني سأعود ، وثق من ذلك .

صحت :

– ولويز ؟.. ماذا فعلت بها ؟.

تثاءب ريتشارد وقال :

– أنس لويز . لن تضايقك بعد اليوم إنني أقنعتها بأن تتبنى وجهة نظرك في هذه المسألة يا دافيد .

– كيف ؟.. ماذا قلت لها ؟.

قال :

– طابت ليلتك يا دافيد ، أوه لاأريدك أن تنزعج في الصباح ، تذكر .. لم يكن ذلك غير حلم .. حلم مثير .

وبعد أن نطق بكلماته هذه أنصرف ، وفتحت عيني بعد لحظة ، ورأيت أن الساعة قد أشرفت على التاسعة صباحا وأن جرس المنبة لم يدق ، هذا هو

حلمی یا دکتور

- أشكرك يا داڤيد ، أنني فهمت الآن ، سأفسر لك هذا الحلم ، ولن يعاودك بعد ذلك أبداً .

حسن يا دكتور .

- قبل أن تموت زوجتك الأولى لويز كنت تتمنى موتها ، أليس كذلك؟.

- نعم

- حسن ، وعندما ماتت أحسست بالذنب كما لو أنك قتلتها ، وفى الليلة السابقة لزواجك ظهر هذا الأحساس بالذنب فى صورة كابوس رأيت فيه لويز على قيد الحياة لا ريب أن رنين جرس المنبه جعلك تظن أن التليفون هو الذى يرن .. وهكذا بدأ الحلم .. لويز ريتشارد وكل شئ .. هل تفهم ؟.

- نعم يا دكتور .. أنني أفهم .

- سوف تستجم قليلا الآن ، وعندما أقول لك استيقظ فسوف تستيقظ وتنسى هذا الحلم تماما ، ولن يزعجك بعد ذلك أبداً والآن أستجم يا داڤيد .

- نعم يا دكتور :

- أوه دكتور مانسون ؟.

- ماذا تريدين يا مدام كاربنتر ؟.

- هل أنت واثق أن هذا الحلم لن يعاوده أبدا .

- كل الثقة ، أن شعوره الباطنى بالذنب قد عاد إلى السطح ، إذا جاز لى هذا التعبير ، وهكذا تخلص منه إلى الأبد .

إننى سعيدة جدا يا لداڤيد المسكين ' كان على وشك الأنهيار العصبى ، أوه ، معذرة فهناك من يدق جرس الباب

- طبعا .

- كان الطارق الرجل الذى جاءنا بالأغطية ، وهى هدية من أخت داڤيد وكنت قد أرسلتها إلى محل التطريز لينقشوا عليها الحروف الأولى من أسمينا ، إنها أغطية جميلة ، أليس كذلك .

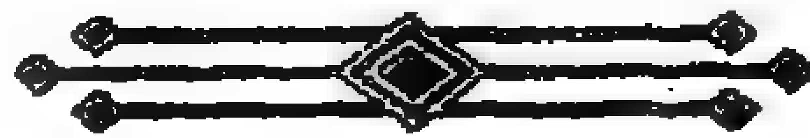
- أوه ، أجل :

- سأذهب لأرتبها ، إن داڤيد عنده صندوق من خشب الأرز يحتفظ به تحت النافذة ، وله غطاء محكم لا يمكن أن تتسلل منه العتة ، كما يقول صانعه ، وأرجو ذلك فإننى أكره أن تمتد العتة إلى مثل هذه الأغطية الجميلة .

- يمكنك أن تستيقظ الآن يا داڤيد حسن ، كيف حالك الآن ؟

- حسن جدا يا دكتور ولكننى لست داڤيد . أنا ريتشارد وأنه ليدهشنى أنك ظننت أن داڤيد يروى لك حلما ، يجب أن تعرف أن هذه هى الوسيلة الوحيدة لداڤيد لكى يخفى الحقيقة عن نفسه .

لقد رن جرس التليفون فى المرة الأولى حقا و .. لا تقربى هذا الصندوق يا آن .. إننى أحذرك لا تفتحيه ، يالأسف ! أننى أنذرتك ولكنك فتحته رغم ذلك ، لم يعد هناك أى سبب لبقائك واقفة تصرخين هكذا أمام هذا الصندوق .



المسحوق الوردى

لست أسوق هذه القصة على أمل أن يصدقها القراء ولكن لكى تكون عبرة وعظة فلا يقع سواى فيما وقعت أنا فيه ، وإني لأعلم علم اليقين أن القضاء قد تم وأن لا سبيل إلى الإفلات منه وأنى لمستعد لتقبل مصيرى كيفما يكون

أسمى أدوارد چورچ أيدن ، وقد ولدت فى توتنهام من أعمال ستافورد شير حيث كان أبى يشتغل بملاحظة الحدائق والبساتين ، ماتت أمى وأنا فى الثالثة ولحق أبى بها قبل أن أتم الخامسة فكفلنى عمى چورچ أيدن وربانى كما لو كنت أبنه هو .

وكان عمى شيخا أعزب يشتغل بالصحافة ، وقد عرف كيف يكتسب حب الجميع وأحترامهم فربانى غارسا فىّ حميد الخصال باثا فى نفسى حب الطموح لكى أصبح رجلا من عظماء الرجال

وعندما مات منذ أربع سنوات أوصى لى بكل ثروته وهى ثروة لم تتجاوز ، بعد تصفية جميع ديونه الخمسمائة جنيه .

وكنت فى الثامنة عشرة من عمرى عندئذ . وقد نصحنى فى وصيته بأن

أستعين بثروته الصغيرة على إتمام علومى قبل مواجهة الحياة وكنت قد أخترت المهنة التى تستهوينى وهى مهنة الطب ، وقد ساعدتنى تلك الثروة إلى جانب المنحة الكبيرة التى كان من حسن حظى الحصول عليها على الالتحاق بكلية الطب .

وفى الوقت الذى تبدأ فيه قصتى هذه كنت أقيم بالبيت رقم ١١ بشارع الجامعة ، فى غرفة صغيرة فوق السطح تعصف بها التيارات الهوائية من كل جانب ، ولا تضم إلا ما لا غنى عنه من قطع الأثاث ، وقد أتخذت من تلك الغرفة مخدعا ومكتبا حرصا منى على اقتصاد كل ما يمكننى أقتصاده حتى يتسنى لى الحصول على شهادة الطب .

وتبدأ قصتى فى اليوم الذى خرجت فيه من دارى لكى أذهب إلى الإسكافى ليصلح لى حذائى والذى التقيت فيه بذلك الشيخ القصير القامة الكالح الوجه والذى أرتبطت به حياتى فيما بعد بتلك الصورة العجيبة فقد كان واقفا أمام البيت ، على الطوار المقابل ينظر إلى رقم البيت فى شئ من التردد ، وما وقعت عيناه على حتى ابتدرنى قائلا فى صوت رقيق

- أنك ظهرت فى الوقت المناسب ، فقد نسيت رقم مسكنك كيف حالك يا مستر أيدن ؟

وعرتنى الدهشة لجرأة الرجل ومخاطبته لى فى غير كلفة على الرغم من اننى لم أكن أعرفه ، وزاد من ارتباكى أنه فاجانى وأنا أحمل حذائى تحت أبطى والظاهر أنه لحظ ذلك لأنه قال

- لعلك تتساءل من أنا ؟ إننى صديق وليست هذه أول مرة أراك فيها وإن ، كانت الأولى التى ترانى أنت فيها هل يوجد على مقربة مكان

نستطيع أن نتحدث فيه بهدوء ؟

بدأ علي التردد ، فقد كانت غرفتي صغيرة وحقيرة لا يشرفني أن أدعو أحدا فيها ، وأخرجني الرجل من ورطتي قائلا

– أصغ إلي ..ليس من السهولة أن أشرح لك ماذا أريد .. وأرى أن الأوفق أن ترافقني لتناول الغداء معي .

قلت : إذا كان هذا لا يزعجك فانني أرى .

قاطعني يقول على الفور

– كلا كلا .. إن الرأي لي أنا .. وشعري الأبيض يوجب عليك احترام إرادتي .

رضخت لقوله وذهبت معه ، وأصطحبني إلى مطعم بلافيتسكي وأضطررت أن أجاريه في خطواته ، وبينما كنا نتناول طعاما لم أذق في حياتي كلها مثله راح يتهرب من الأجابة على أسئلتي ، واستطعت أن أفحصه كما أريد .

كان وجهه حليقا هزيلا أمتلأ بالتجاعيد والغضون ، تظهر أسنانه الصناعية من بين شفتيه ، وعلى رأسه بضع شعيرات بيضاء ، وبدأ لي قصير القامة وقال وهو يشعل لفافة :

– يجب أن أحدثك الآن عن المسألة التي تهمني ، إنني كما ترى رجل مسن بلغت من العمر ارزله وأملك مبلغا جسيماً من المال سأضطر إلى أن أتخلى عنه وشيكا لأنه ليس لي وريث .

وخشيت أن يكون قوله هذا بداية عملية نصب وأحتيال فآليت على نفسي

أن أتوخى الحذر حتى لا يسلبنى ثروتى الصغيرة التي لا تتجاوز الخمسمائة جنيه

وتحدث بعد ذلك كثيرا فتكلم عن وحدته ومتاعبه ، وكيف أنه يريد أن يترك ثروته للشخص الذى يستحق وأستطرد يقول :

- وقد فكرت فى مشاريع عدة فخطر لى أن أهبها للجمعيات الخيرية أو أن انفقها على المعاهد العلمية أو المكتبات العامة ، ولكن هدانى تفكيرى أخيرا إلى أمر .. هو أن ابحث عن شاب فقير طموح سليم الجسم والعقل فأتخذه وريثا لى، أو بوجه أصح أهبه كل ما أملك .. نعم ، أهبه كل ما أملك بحيث ينجو فجأة من مشاكله ومتاعبه المالية ويغدو رجلا غنيا مسموع الكلمة مستقل الأرادة .

تظاهرت بعدم الأكتراث بما يقول وقلت فى حياء ظاهر :

- لعلك تريد منى أن أساعدك فى العثور على هذا الشاب ؟.

ابتسم ونظر إلى من خلال الدخان المتصاعد من سيجارته .

ولم أملك نفسى عندئذ من الضحك ازاء السهولة التى أكتشفت بها تواضعى الكاذب ، وأستطرد يقول من غير أن يكلف نفسه عناء الرد على .

- وخليق بمثل هذا الشاب أن تتفتح الدنيا أمامه ، والحق أننى أشعر بالغيرة لمجرد التفكير فى أن الثروة التى جمعتها كل هذه السنين سينفقها رجل غيرى ، ولكن هناك طبعا شروطا والتزامات يجب أن تتوفر فيه أولا فأن ذلك الشاب يجب قبل كل شئ أن يتخذ لنفسه أسمى ، ثم أننى يجب أن أعرف كل تفاصيل حياته وأن لا تخفى على منها خافية .. ويجب أن يكون

سليم الجسم وسليم العقل وأن أعرف حياته الوراثية .. كيف مات أبواه وأجداده وأن أدرس أخلاقه وخصاله دراسة وافية

أحدثت كلماته الأخيرة أثرها في نفسي فأحسست بسروري يتضاءل ولكنني لم أملك مع ذلك إلا أن أسأله قائلا .

- هل أفهم من كلامك هذا أن أختيارك وقع على أنا ؟.

فأجاب .

- نعم عليك أنت

لم أنطق بكلمة وسرح فكري ، وتملكني سرور عظيم ونسيت في غمرة سروري ذلك المحسن الكبير فلم أوجه اليه كلمة شكر أو أمتنان وأكتفيت بأن قلت له

- ولكن لماذا وقع أختيارك على أنا دون سواي ؟.

فأجابني بأنه سمع أستاذي هارسر يتحدث عني ويطيب في وصف أخلاقي ويمتدح سيرتي ، وأنه يريد أن يترك ثروته بين يدي رجل شريف سليم الجسم والعقل ليتصرف فيها بحكمة ورويه

كان هذا هو اللقاء الأول بيني وبين ذلك الرجل المسن القصير القامة الغريب الأطوار ، ولم يشأ أن يذكر لي أي شئ ليبدد السر الذي يحيط به بل أنه رفض أن يذكر لي أسمه في ذلك اليوم متذرعا بأنني سوف أعلم عنه كل شئ في القريب العاجل ، وبعد أن أجبته على عدة أسئلة تركني على باب المطعم

لم أره بعد ذلك إلا يوم جمعه بعد عدة أسابيع ، ففي نحو الساعة

التاسعة مساء من ذلك اليوم ، بينما كنت أحاول حل بعض المعادلات الكمياوية أستعدادا لأجتياز الأمتحان الوشيك سمعته يصيح بى أن أهبط إليه ، وكان واقفا فى دهليز البيت ، بجانب مصباح من مصابيح الغاز ، وكان الضوء باهتا فراحت الظلال تتراقص على وجهه بصورة جعلته يبدو كعفريت من عفاريت القصص التى تزخر بها طفولتنا ، وخيل لى أنه أكثر احدودابا عن ذى قبل وأن الغضون قد تضاعفت فى وجهه .

وبادرنى يقول فى صوت يتهدج من الأنفعال :

– أننى مسرور يا مستر أيدن .. بل مسرور جدا ، فقد درست أخلاقك وفحصت ماضيك وحاضرك وتبين لى أنك الشاب الذى يصلح ، وأريد أن تخرج معى الليلة لتشاركنى العشاء أحتفالا بصعود نجمك .

وخرجنا إلى الشارع وركبنا عربة ، وأنى لا أذكر تماما تلك الرحلة وكل ماجرى لى فى تلك الليلة من كبيرة وصغيرة .. السرعة الفائقة التى أنطلقت بها العربة وتباين مصابيح الزيت مع مصابيح الغاز والمصابيح الكهربية والجماهير التى تزخر بها الشوا[illegible] الذى [illegible] إليه [illegible] لنا .

لم يحدثنى الكهل فى البداية إلا عن نفسه ، وكان قد ذكر لى أسمه ونحن فى العربة فقال أنه يدعى أيجبرت الشام ، وأنه هو العالم الكبير المعروف بهذا الأسم ، وكنت قد سمعت عنه الكثير منذ نعومة أظافرى وأعرف أنه من كبار الفلاسفة الذين سادوا العالم بذكائهم وحصافتهم .

وحدثنى بعد ذلك عن المستقبل الزاهر الذى ينتظرنى إذا ما آلت إلى ثروته وأملاكه وريع مؤلفاته ، ونظرت إليه فى دهشة لم أستطع إخفاءها فما

كنت أعتقد أبدا أن الفلاسفة يتمتعون بمثل ما يتمتع به هو من ثراء ونعيم

ونظر إلى وأنا أمضغ طعامي في شئ من الحسد ثم صاح :

– ما هذا الشباب المتدفق يا صاحبي !.

ثم تنهد وخيل لي أنه أنما يتنهد في أرتياح وقال :

– هل تستبدل شبابك هذا بماضي ؟.. وهل تقبل اسمي ومكانتك بطيب خاطر .. وهل تقبل أن تستبدل شبابك بشيخوختي بنفس التقبل والرضا ؟.

أجبته نعم ، أقبل .

وصاح بالندل قائلا عندئذ :

– أئتنا بزجاجة من الشمبانيا .

ثم تحول إلى وقال :

– أن هذه اللحظة .. أعني اللحظة التي تعقب الطعام هي لحظة الشراب وإليك جزء من حكمتي يا صاحبي .

وأخرج من جيبه كيسا صغيرا فتحه بأصابعه المرتعشة الصفراء وقدم لي مسحوقا وردي اللون بداخله وهو يقول :

– أن ذرة واحدة من هذا المسحوق إذا مامزجت بالشراب تجعل المرء يحلق في السماء .

وحدجني بطريقة غريبة ، وتملكني الأسى وأنا أرى ذلك الفيلسوف الكبير يبتهج بالشراب بهذه الصورة ولكنني رأيت أن أتظاهر بالأهتمام بما يقول وأن أجاريه حتى لا أغضبه فينصرف عني ، وشطر المسحوق إلى قسمين

متساوين سكب كلا منهما فى الكأسين ثم نهض فى وقار عجيب ومد يده بكأسى نحوى فجأة ، وحنوت حنوة بحيث تلاحمت الكأسان وقال

- إننى أشرب نخب ميراثك

ورفع كأسه إلى شفتيه فقلت فى حدة :

- كلا لا تقل هذا توقفت الكأس قبل أن تصل إلى شفتيه ونظر إلى مستقفهما فقلت بل لنشرب نخب عمرك المديد .

تردد لحظة ثم قال وهو يقهقة فجأة :

- ليكن .. نخب عمرى المديد وشربنا وهو لا يحول عينيه عن عينى وأحسست عندئذ باحساس غريب ، فما كدت أزدرد الجرعة الأولى من الشراب حتى شعرت بصخب كبير فى كيانى وخيل لى أننى أصبت بصدمة كبيرة فى رأسى ، وأمتلأت أذناى بالطنين فى نفس الوقت ، لم أعبأ بمذاق الشراب ولا بنكهته

لم أر شيئا فيما عدا عينيه الواسعتين اللتين راحتا تحدقان فى عينى ، وقطع حبل الصمت أخيرا بأن ندت عنه تنهيدة طويلة وألقى كأسه وهو يسألنى :

- والآن ما رأيك ؟.

أجبت :

- أنه لذيذ

ولكننى لم أعرف للشراب طعما ولا نكهة فى الواقع وتملكنى الدوار وأضطررت إلى الجلوس ولم أعد أعى شيئا مما يدور حولى . غير أننى لم

البث أن بدأت أسترد حواسي شيئا فشيئا ، وشيئا فشيئا راحت قوة الأدراك تزداد في نفسي وفي شئ من الدقة والوضوح ، كما لو كنت أرى الأشياء في مرآة جوفاء ، وخيل لي أن صاحبي قد تملكه الأنفعال وراحت تصدر منه أشياء غريبة تدل على نفاذ الصبر وحدة المزاج .

ولم يلبث أن أخرج ساعته ونظر إليها مقطبا ثم قال :

– الساعة الحادية عشرة وسبع دقائق .. لقد مر الوقت سريعا .. يجب أن أستقل قطار الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين – من محطة وأترلو .. أنني سأنصرف الآن .

وبعد لحظات كنت أودعه في العربة التي استقلها وأنا لا أزال أشعر بذلك الأحساس السخيف بأنني أرى كل شئ في جلاء ووضوح كما لو كنت .. ماذا أقول .. كما لو كنت لا أرى الأشياء فحسب ، وإنما كما لو كنتُ أحس بأنني أعيشها من خلال منظار مكبر يعكسها لي .

وقال وهو يرفع يده إلى جبينه :

– ما كان ينبغي أن أقدم لك هذا المزيج ، ستستيقظ غدا وأنت تشكو صداعا شديدا .. مهلا لحظة ، وأخرج من جيبه كيسا صغيرا أشبه بكيس الملح الأنجليزي وقال :

– ضع هذا في قليل من الماء واشربه الليلة قبل أن تنام ، أن المزيج الذي تناولته منذ قليل مخدر قوي ولابد أن نتوقى الحذر .

لا تتناول هذا المسحوق إلا قبيل النوم ، أنه سينقذك من الصداع والآن إلى الملتقى

وضغطت بأصابعي على أصابعه الهزيلة المعروقة في حين عاد هو يقول:

– إلى الملتقى .

من العسير أن أصف ما أعتراني وماطرأ على تلك الليلة ، وإذا أنا قلت إنني كنت أحس بأن لي شخصية مزدوجة فما ذلك إلا صورة مبهمة لما كنت أشعر به .. والحق أنني ، بينما كنت أعبر الشارع المؤدي إلى محطة ووترلو رحت أحك رأسي وأرى أنني أنما أسير في شارع ريجنت ، وهو شارع آخر غير ذلك الذي يقع فيه مسكني لا أدري أية صورة أقدمها للقارئ لكي يدرك ما أقول ، ولكن تصور أنك أمام ممثل قدير يحدق فيك في هدوء ثم يكشر فاذا بك ترى نفسك أمام شخص آخر ، أيدهشك أن أقول أنني في تلك اللحظة خيل لي أن شارع ريجنت قد تصرف معي تصرف ذلك الممثل القدير ؟.

وأذ أيقنت أخيراً أنني أسير في شارع ريجنت أحسست بصورة غريبة تدور في رأسي رحت أحاول أن أتبين فيها نفسي وأخذت أحدث نفسي قائلا :

– في هذا الشارع تشاجرت مع أخي منذ ثلاثين عاما ، ولم أكد أفرغ من قولي هذا حتى انفجرت ضاحكا في صوت مسموع بحيث نظر المارة إلي في استغراب ، ذلك أنني لم أكن قد ولدت منذ ثلاثين عاما ، ثم إنه ليس لي أخ على الاطلاق ، وبدأت أعتقد أن ذلك المسحوق الوردي الذي تناولته قد أصابني بالجنون لأنني لم أستطع أن أتحرر من الأحساس العميق الذي أثاره في نفسي هذا الأخ المجهول .

وتابعت طريقي فاجتزت شارع أيسترن ثم ميدان توتنهام وأنا نهب

الحيرة والدهشة والخوف فى نفس الوقت ، يخامرنى الأحساس بأننى أسلك طريقا غير عادى لأنتى كنت أصل إلى مسكنى عادة فى وقت أقصر وعبر شوارع صغيرة ضيقة .

وعندما بلغت شارع الجامعة تحققت ببالغ الدهشة أننى نسيت رقم مسكنى ولكننى تمكنت بعد جهد شديد أن أتذكر أنه رقم ١١ ، وحتى بعد أن تذكرت ذلك خيل لى أن شخصا لا أعرفه هو الذى همس لى به .

وحاولت أن أرتب أفكارى مستعرضا كل ما وقع أثناء العشاء ولكننى عبثا حاولت لأنتى لم أستطع أن اتذكر ملامح مضيفى ولم أستطع أن أتخيله إلا فى صورة شخص مبهم ، كما لو كنت أرى صورتى أنا بالذات من خلال لوح من الزجاج ، وبدلا من صورته خيل لى أننى أرى نفسى وقد جلست أمام منضدة مضطرم الوجنتين محموم العينين ورحت أحدث نفسى قائلا :

– هذا أمر غير محتمل .. يجب أن أتناول المسحوق الآخر .

وفى البهو توجهت إلى الناحية التى لم يكن ينبغى أن أتخذها منها أبداً لكى آخذ شمعتى وعيدان الثقاب ، ولم أعد أدرى فى أية ناحية تقع غرفتى وقلت لنفسى :

أننى ثمل .

ورحت أرقى الدرج وأنا أترنح كما لو كنت أريد تأييد قولى هذا ، وما أن دخلت غرفتى حتى بدا لى مظهرها غير مألوف لى وصحت أقول وأنا أردد البصر حولى :

– عجبا ! هذا غريب .

وبذلت مجهودا خارقا لكى أتمالك نفسى وأركز أفكارى ، ورأيت مرآتى

أمامى كالعادة وإلى جوارها قصاصات الورق التى أسجل عليها ملاحظاتى وبذلتى التى أرتديها كل يوم ملقاة فوق أرضية الغرفة ومع ذلك فقد بدأ الأمر غير حقيقى وخامرنى أحساس سخيف بأننى جالس فى مقصورة بأحدى القطارات وأن القطار يوشك أن يتوقف وأننى أطل من النافذة على محطة مجهولة وضغطت بكل قواى على حافة السرير لكى أبعث الأطمئنان إلى نفسى .

وأذبت المسحوق فى كوب من الماء وأنا بنصف ثيابى ، وفار الماء على الفور ثم اكتسب لون العنبر ، وقبل أن أستلقى على فراشى شعرت بشئ من الراحة والهدوء وأحسست بلين الوسادة تحت وجنتى ولم ألبث أن رحت فى نوم عميق .

وصحوت فجأة من حلم مزعج تتخلله حيوانات غريبة والقيت نفسى راقدا على ظهرى ، وكل منا يعرف بلا ريب تلك الأحلام المدهشة والمخيفة التى يفلت منها المرء ويصحو منها ويبقى رغم ذلك فى حالة غريبة من التوجس والخوف .

وأحسست بمذاق غريب فى فمى وباعياء شديد فى أطرافى وبإحساس كريه على بشرتى ، وبقيت لحظة بلا حراك ورأسى فوق الوسادة متوقعا أن تزول هذه الأحساسات الغريبة والمخيفة على أعتقاد بأننى لن ألبث أن أستغرق فى النوم من جديد ، ولكن بدلا من ذلك أزدادت أحساساتى وطأة وقوة .

لم ألحظ شيئا غريبا حولى فى بادئ الأمر لأن النور كان ضعيفا فى الغرفة والظلا لا يزال ضاربا أطنابه بحيث بدا لى كل شئ مبهما ، ورددت

البصر حولى وقد بدا لى أن هناك شيئا غير مألوف إذ تغيير شكل فراشى ورأيت مكان دولاب الكتب شيئا باهتا يتلاعب فى الهواء .

ومددت يدى لكى التقط شمعتى وعلبة الثقاب من فوق المقعد الذى بجوارى ، ولكننى لم أجد غير الفضاء ، وأخذت أتحسس بيدى فى الظلام وعثرت أخيرا على قماش ثقيل ناعم الملمس فأمسكته بأصابعى وشددته ولم ألبث أن أدركت أنه ستارة معلقة فوق الفراش .

وكنت قد صحوت تماما عندئذ ، وبدأت أدرك أننى فى غرفة غريبة عنى ، وأخذتنى الحيرة وحاولت أن أتذكر أحداث الأمس ، وأدركت لدهشتى الشديدة أنها ماثلة ـى مخيلتى بكل صغيرة وكبيرة . العشاء والكيسان الصغيران وأحساسى بأننى ثمل وبليونة الوسادة تحت وجنتى ولم يسعنى إلا أن أشك فى نفسى ، هل حدث كل هذا مساء أمس أم مساء أول أمس ؟.. مهما يكن فقد كنت فى غرفة غريبة عنى ولم أدر كيف انتهيت إليها .

وتحدد أمام بصرى ذلك الشئ الباهت الذى كان الهواء يتلاعب به ، فقد كان عبارة عن نافذة تحجبها ستارة ما كدت أرفعها حتى طالعنى منظر لم يسبق لى أن رأيته . كانت السماء ملبدة بالغيوم وخيوط الليل تتراجع أمام خيوط النهار ، وظهر فى الأفق خط أحمر بلون الدم يشير إلى المكان الذى ستشرق منه الشمس ، وتحت هذا الخط كان كل شئ لا يزال مظلما غامضا وإن كنت قد بدأت أتبين عن بعد بعض التلال والبيوت المتراصة وعددا من الأشجار والنخيل .. كان كل ذلك غريبا عنى لم يسبق لى أن رأيته قط بحيث خيل لى أننى مازلت أحلم .

وعدت ببصرى إلى الغرفة فوضح لى كل شئ فيها بعد أن رفعت الستارة عن النافذة ، ورأيت فراشا ضخما أمامه مدفأة من الرخام الأبيض وداخلنى عندئذ شعور غريب مروع وصحت أقول فى صوت مسموع

– كيف أتيت إلى هذه الغرفة بحق الشيطان ؟.

وكان الصوت الذى خرج من حلقى صوتا آخر غير صوتى أنا بالذات كلا ما كان بصوتى .. وانما كان صوتا ضعيفا واهيا يختلف كل الأختلاف عنه .

تحسست يداى لكى أتأكد فراعنى أننى لمست جلدا رخوا مترهلا ومفاصل بارزة معروقة لرجل مسن بلغ من العمر أرذله .

وتمتمت بذلك الصوت المروع الذى لا أدرى كيف أستوطن حنجرتى

يقينا أننى أعيش حلما بغيضا .

وأدخلت أصابعى فى حلقى فى عنف ، وبحركة غير أرادية فاذا بأسنانى قد اختفت ووقعت أصابعى على لثة رخوة ذابلة فأمتلأت نفسى تقززا ونفورا .

وأحسست بحاجة ملحة تدفعنى إلى أن أنظر إلى نفسى فى المرآة لكى أتحقق من التغيير الذى طرأ على فتقدمت نحو المدفأة وأنا أخطو خطوات مترنحة وبحثت عن علبة الثقاب فى إعياء شديد ولكن انتابتنى فى تلك اللحظة نوبة شديدة من السعال وتقلصت أصابعى على قميص النوم الذى أرتديه .

لم أجد عودا واحدا من الثقاب وشعرت فجأة بقدمى يتجمدان من البرد

فأسرعت إلى فراشى وأنا مازلت أترنح . وأسعل وقلت وأنا أتمدد فوق الفراش وأطرح الغطاء فوقي

– يقينا أننى فى حلم .. حلم مزعج

كان حلما طبعا .. حلما بغيضا لا يلبث أن يزول فى الصباح ، وسوف أستيقظ أكثر نشاطا وأكثر فتوة عن أى وقت مضى .

وأطبقت عينى ورحت أتنفس فى انتظام وأخذت أعد من واحد إلى ثلاثة باستمرار ولكن النوم جافانى ولم أجد مفرا فى النهاية من الاقتناع بالحقيقة .

كان لابد لى أن أسلم بالأمر الواقع فقد تحولت فجأة ، وفى قسوة بالغة من شاب فى عنفوان الشباب إلى شيخ طاعن فى السن .. فى لحظة واحدة قطعت كل حياتى وبلغت الشيخوخة المرزولة وسرق منى أجمل ما فى الوجود .. الحب والكفاح والقوة والأمل .. سرق كل ذلك منى بطريقة لا أعرفها .

دفنت رأسى فى الوسادة وحاولت أن أقنع نفسى أننى أعيش كابوسا مزعجا ولكن شيئا فشيئا وفى بطء شديد طلع النهار ووضحت لى الحقيقة المرة ، وأخيرا استويت جالسا وقد فقدت الأمل فى أستئناف النوم ورددت البصر حولى فى دهشة يائسة .

كانت خيوط النهار الاولى قد أضاءت غرفتى فاستطعت أن أرى غرفة كبيرة فسيحة تضم أثاثا أفخم بكثير من أثاث غرفتى الحقيرة ، ورأيت شمعة وعيداناً من الكبريت فوق رف صغير لصق الحائط فأزحت الغطاء ، على الفور ونهضت وأنا أرتجف على الرغم أن الجو كان صيفا ، واشعلت

الشمعة ودنوت من المراة فرأيتها تعكس صورة الفشام . وهكذا تغيرت سحنتي بصورة عريبة . ولكن كيف حدث هذا وبأى سحر أختفت سحنتى أنا وحلت محلها سحنة الفشام هذا ما لم أعرفه وبينما كانت هده الأسئلة الغريبة تدور في ذهنى أدركت براعة الفشام الشيطانية وبدا لى بكل وضوح أننى الآن وقد أصبحت فى صورة الفشام فلابد أنه أصبح هو الآخر فى صورتي أنا وأن جسدى وشبابى ومستقبلى كل ذلك قد أصبح ملكا له .

ولكن كيف السبيل إلى أثبات ذلك ؟.. كلما أمعنت الفكر في قصتي هذه كلما بدت غير معقولة حتى لى أنا .. غير معقولة إلى درجة أن عقلى ثار لمجرد هذه الفكرة واضطررت أن أقرص نفسى وأن أتحسس شفتي لكى أتحقق من أختفاء أسنانى وأن ألمس الأشياء التى حولى لكى أقنع نفسى بأننى لست تحت تأثير كابوس بغيض أواجه موقفى بكل شجاعة

هل الحياة كلها كابوس مخيف حقاً ؟ وهل صحيح أننى الفشام وأن الفشام هو أنا . أتراني رأيت أيدن في أحلامى أثناء الليل ؟.. وهل شخصية أيدن موجودة حقا ؟ ومن ناحية أخرى ، ولو أننى كنت الفشام حقا فقد كان ينبغى أن أذكر أين كنت أمس وأن أعرف أسم المدينة التى أقيم فيها وماذا حدث قبل أن يبدا هذا الحلم ، وأستعنت بكل ذكرياتى وحاولت أن أتذكر متى وفى أى وقت تم أزدواج شخصيتى ، ولكننى لم أستطع أن أذكر أى شئ فيما عدا كل ما له صلة بايدن .

وصحت بصوتي المرتعش الواهن

- أننى أكاد أجن

ونهضت وأنا مازالت أترنح وتحاملت على ركبتى الهريلتين ، ومشيت حتى

طاولة الزينة وصببت الماء البارد فوق رأسى ثم جلست وحاولت أن أفكر مرة أخرى وأن أتذكر ولكن عبثاً . فقد ظللت محتفظا باعتقادى بأننى أيدن ولست القشام وأنما أيدن فى جسد القشام

وأسرعت بارتداء الثياب التى وجدتها ملقاة فوق أرض الغرفة بجوار الفراش ولم ألحظ أنها ثياب الخروج إلا بعد أن فرغت من ارتدائها، وفتشت دولاب الملابس فوجدت فيه ثيابا عادية كثيرة .

وغطيت رسى الصلعاء بطاقية وأنتابنى سعال خفيف لفرط المجهود الذى بذلته فى هذا العمل البسيط ثم خرجت إلى البسطة .

كانت الساعة قد بلغت السادسة عندئذ ، وكانت الستائر مسدلة والسكون يشمل أرجاء البيت ، وكانت البسطة فسيحة يقع فى أخرها سلم كبير كسيت درجاته ببساط سميك ، ورأيت أمامى بابا مواريا فتحته فاذا بى فى غرفة يتوسطها مكتب أمامه مقعد وثير ودولاب زاخر بالكتب .

وتمتمت أقول وأنا أرد البصر حولى :

– هذه هى الغرفة التى أتخذها مكتبا لى .

وعندما سمعت نبرات صوتى خطرت ببالى فكرة فعدت إلى غرفة النوم وبحثت عن طاقم أسنانى ، ولما وجدته وضعته فى فمى فاتخذ مكانه بالسهولة التى تخلقها العادة فقلت

– حسنا أن الموقف يزداد وضوحا .

وذهبت بعد ذلك إلى غرفة المكتب ، وكانت أدراجه مغلقه ولم أجد أى مفتاح فى أى مكان ولا حتى فى جيوبى

وإذ تحققت من ذلك عدت إلى غرفة النوم من جديد وقلبت جيوب الثياب التى كنت أرتديها بالأمس وكذلك جيوب كل الملابس الموجودة فى الدولاب وقلبت الغرفة رأسا على عقب بحثا عن أى مفتاح بحيث أننى بعد أن فرغت من بحثى كان يخيل للناظر أن عصابة من اللصوص دهمت المكان .

وضاعت كل أبحاثى سدى لسوء الحظ ففضلا عن أننى لم أجد أى مفتاح فأننى لم أجد كذلك ولا قرشا واحدا كما أننى لم أجد أية ورقة مالية أو أى شئ آخر فيما عدا فاتورة الطعام الذى تناولناه بالأمس .

ونهضت فى أعياء شديد وأنا أجر قدمى ومضيت إلى غرفة المكتب ، وفى السلم رأيت خادمة ترفع الستائر ويظهر أن ملامح وجهى أثارت دهشتها لأنها ارتدت بضع خطوات فى خوف ظاهر فأسرعت إلى غرفة المكتب وأغلقت الباب خلفى وأخذت قضيبا من الحديد رحت أعالج به أدراج المكتب .

ودخلوا على وأنا منهمك فى تفتيش الأدراج ، وكنت قد حطمت المكتب والأقفال ولم أحجم عن شئ فى سبيل فتحها ، وفى حمى الثورة التى أستولت على قلبت الحبر وحطمت التحف الأثرية التى فوق المكتب ، ولم أعثر على دفتر شيكات ولا على نقود ولا على أى شئ يمكن أن يساعدنى بأية طريقة فى استرداد جسدى

وتحولت إلى الأدراج والمكتب ورحت أحطم كل شئ فى جنون وأقبل رئيس الخدم على أثر ذلك وبرفقته خادمان آخران .

هذه هى قصة التغيير العجيب الذى طرأ على ، وليس هناك من يريد تصديقها ، فقد رمانى الجميع بالجنون والخبال ، وهم يضعوننى فى هذه

اللحظة بالذات تحت مراقبة شديدة ولكننى متمسك بقصتى ومالك لقواى العقلية ولكى أثبت ذلك شرعت فى تدوين ما حدث لى من غير أن أترك شاردة أو واردة

وأنى لأحكم القراء الآن .. هل هناك مايدل على أننى مجنون بالطريقة التى سردت بها هذه القصة التى توشكون على الفراغ من قراءتها .. أنا شاب فى عنفوان الشباب سجين فى جسد شيخ طاعن فى السن بلغ من العمر أرذله ، هذه هى الحقيقة الحقة وأن كانت تبدو بعيدة عن المعقول الجميع أن الذين لا يريدون أن يصدقونى يعتقدون طبعا أننى مجنون ، وطبيعى أننى لا أعرف اسماء سكرتيرى وخدمى ولا الأطباء الذى يزعمون أنهم يعالجوننى ولا أسماء جيرانى بل إننى لا أعرف اسم المدينة التى أنا فيها ولا مكانها ، وطبيعى كذلك أننى أضل وأتوه فى فى بيتى ولا أهتدى إلى طريقى إلا بشق النفس ، وطبيعى أيضا أن أبكى وأتحسر وأن يمتلكنى اليأس والجنون فليس معى مال ولا دفتر شيكات وحتى المصرف لا يعترف بتوقيعى لأننى على الرغم من ضعفى ووهنى الحاليين أعتقد أن خطى مازال هو خط أيدن .

لاشك أن الفشام درس العلوم النفسانية دراسة وافية وكل الاكتشافات التى اكتشفها تجعلنى أزداد يقينا فى أنه سرق حياتى .

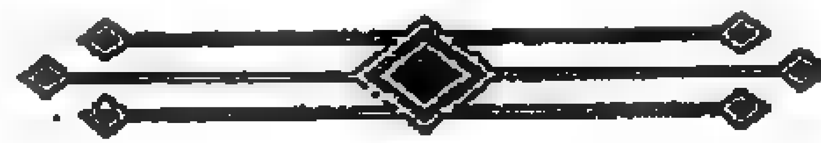
أما كيف حدث هذا فلست أدرى .

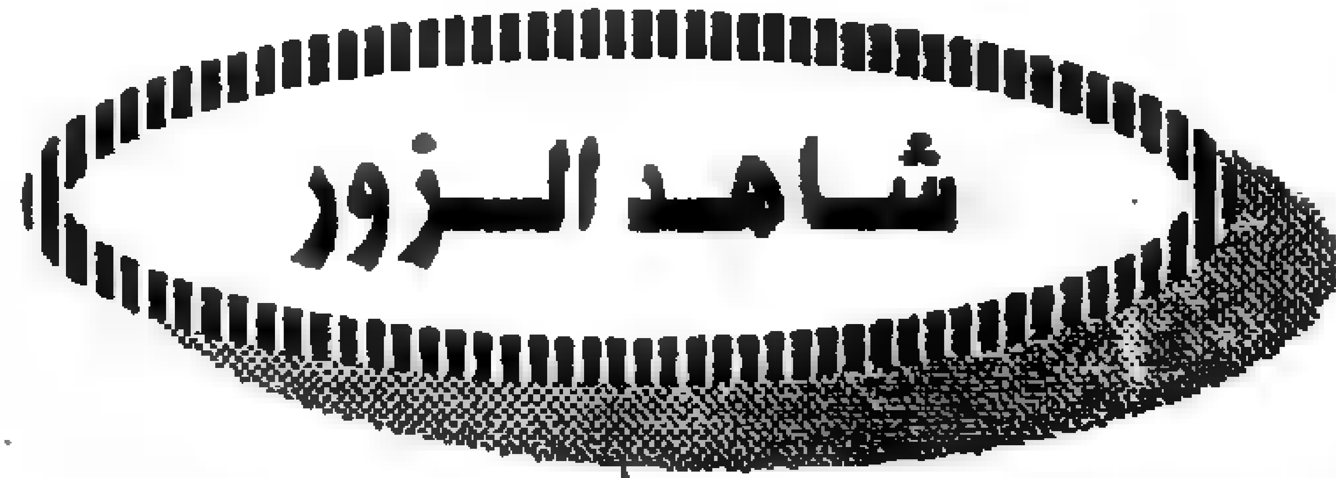
أننى مقبل على تجربة أخيرة وأنا أدون هذه السطور الأخيرة قبل تنفيذها فقد استعنت هذا الصباح بمدية حادة أخذتها أثناء الطعام وفتحت درجا سريا لم أجد غير قنينة صغيرة خضراء تحتوى على مسحوق أبيض وعليها

بطاقة مكتوب بها هذه الكلمة " الخلاص " .. ولا ريب عندى فى أن هذا المسحوق ما هو إلا سم وأنا من بعد النظر بحيث أعتقد كل الأعتقاد بأن القشام ترك لى هذا السم عامدا لكى يقع تحت يدى فأن الطريقة التى أخفاه بها تجعلنى أجزم أنه أنما أراد أن يتخلص من المخلوق الوحيد الذى فى مقدوره هتك سره ، ولا ريب أن هذا الرجل قد أهتدى إلى سر الخلود .

إلى هنا تنتهى القصة التي وجدناها فوق مكتب القشام ، وكانت جثته لاتزال مكومة بين المكتب والمقعد ، أما القصة نفسها فقد سطرت بالقلم الرصاص بخط ركيك يختلف كل الأختلاف عن خطه المعروف .

ولا يبقى أمامنا بعد هذا إلا أن نذكر واقعتين غريبتين ، فلا جدال هناك فى أنه كانت هناك ثمة علاقة بين ايدن والقشام ويؤيد هذه النظرية أن القشام ، أوصى بكل أمواله وأملاكه لايدن ، ومع ذلك فان هذا الأخير لم يستمتع بتلك الأموال والأملاك أبدا فإن من العجيب أن القشام عندما انتحر كان أيدن قد مات فقد صدمته عربة قبل ذلك باربعة وعشرين ساعة وقتلته لفوره بحيث أن الرجل الوحيد الذى كان فى مقدوره تفسير هذه القصة الغريبة قد اختفى بدوره ولن أحاول البحث عن أسباب أو تأويلات أخرى لا جدوى لها وأترك للقراء تفسير هذا السر العجيب كل كما يحلو له .





– هل أنت حاقد ؟ رفعت حاجبي وقلت : حاقد ؟ ولم بالله ؟ .

– لأنك قضيت أربعة أعوام في السجن من أجل جريمة لم ترتكبها .

ابتسمت ابتسامة خفيفة وقلت :

– ولكن الحكومة عوضتني بما فيه الكفاية ، فقد منحتني مبلغا لا بأس به وهو ستة آلاف دولار .

كان من الواضح أنه حسب كل شئ قبل أن يأتي ليأخذ مني حديثه لأنه قال :

– معنى هذا أن الساعة التي قضيتها خلف القضبان قد درت عليك سبعة عشر سنتا ! .

هززت كتفي وقلت :

– ولا تنس أنني أكتسبت فوق هذا الاثنين والعشرين سنتا التي ينص عنها القانون الأجتماعي ، وأنني لم أنفق الكثير أثناء أقامتي في السجن .

– فيم ستستخدم الوقت الباقي لك في الحياة ؟.

غفرت له :

– فقد كان صحفيا شابا.

واجبت :

– أيها الشاب ، أن هذه السنوات الأربع لم تهد قوامي تماما، والأيام المقبلة فيها كل الخير .

ناولني الحارس دننج مظروفا من الورق الأصفر قائلا :

– هل لك أن تتحقق من محتوياته ، وأن توقع على هذا الإيصال هذه هي الأشياء الخاصة التي كانت معك يوم مجيئك .

سألني الصحفي :

– ماذا ستفعل بمجرد خروجك من هنا ؟.

أجبت :

– سأشتري مسدسا .

– ما هذا القول يا چورج ؟ لا تنس أنك ستكون تحت المراقبة .

ابتسمت :

– لن أكون تحت المراقبة يا دننج ، أنا مواطن لي كل الحقوق ، وحر في جميع تصرفاتي .

قال الصحفي وهو يلوك قلمه :

– ولماذا تريد أن تشتري مسدسا بالذات؟.

أجبت : إنني أحب الأسلحة النارية ، وأرجو أن تعلم أنه كان لدى منها

مجموعة كبيرة قبل أن أدخل السجن .

قال وهو لايزال يسبر غورى :

– وماذا ستفعل بعد ذلك ؟.

– سأمضى لكى أستشير محاميا .

– هل تعنى هنرى ماكنتر ؟.

– كلا وأنما أعنى مات نلسون ، لم أنس ابدا أنه هو المسئول ، بسبب عدم كفاءته عن ٥٠٪ علي الأقل من هذه السنوات الأربع .

– أهو الذى تولى الدفاع عنك في القضية ؟ .

– نعم .

بدأ الصحفى يفكر ثم قال :

– وهل ستحاول البحث عن الرجلين اللذين شهدا ضدك ؟.

أخرجت حافظتي من المظروف الأصفر وفحصت محتوياتها ثم وضعتها فى جيبى وأجبت :

– إن الدنيا صغيرة ، ومن المتوقع أن ألتقي بهما .

أرسلنى الحارس إلى مكتب المدير لتسوية اجراءات أطلاق سراحى وعندما عدت كان يتحدث مع هنرى ماكينتر ، وقطعا حديثهما عند دخولى .

كان هنرى ماكينتر السبب فى أطلاق سراحى ، وهو عضو فى مؤسسة المحاماة لإعادة النظر فى القضايا التى يبدو أنه وقع فيها خطأ قضائى وهو من هؤلاء الرجال المحمومين والمتعصبين لآرائهم بحيث لا يمكن تحويلهم

عن هدفهم ، إذا ماالقتنعوا بأنهم على حق صفوة القول ، أنه من أولئك الرجال الذين أبغضهم عامة ، ولكن لم تكن اللحظة مناسبة لكى أكون جاحدا فقلت له :

– أرسل لى فاتورة بأتعابك ، أننى أسدد ديونى دائما .

ولكنه هز رأسه وقال :

– كلا إننا نعمل لصالح العدالة ، ولا دخل للمال فى ذلك ، ولا دخل للدعاية كذلك ، ثم أنك أكتسبت سبعة عشر سنتا فى الساعة ، وإذا أنا طالبتك بأتعاب وعلمت الجرائد ..

وتنهد وغير الحديث قائلا :

– كلا ما نطلبه منك هو أن لا تتصرف برعونة : رعونة ؟.

– لقد أنصفك القضاء ، وإن كان ذلك قد جاء متأخرا .

– حقا ؟ هل أنصفني ؟.. أتعنى أن الشقيين اللذين شهدا ضدى زورا قد حلا مكانى فى السجن ؟.

– كلا طبعا، لم يكن فى مقدورنا أن نطالب بذلك .

ومع ذلك فيجب أن أحتفظ بالأبتسامة وأن أقبل الأمور كما هى .

– حسنا ، لن يجديك الانتقام على كل حال .. ثم إن ذلك يضر بسمعة مؤسستنا ، إننا تسببنا فى أطلاق سراحك ، وسوف يكون ذلك نقطة سوداء فى ملفاتنا إذا قررت التصرف بدون روية .

وأتى بحركة غامضة من يده ، وترك العبارة معلقة ، وأخذت المظروف وقلت وأنا أتأهب للأنصراف :

- يمكننى أن أوكد لك يا ماكينتر أنني لا أقدم على أي عمل دون روية أبدا، أننى أوازن بين الصح والخطأ قبل أن أقدم على أى شئ .

كان لابد لى من ساعتين لكى أمضى إلى المدينة ،وهبطت من الأتوبيس فى نحو الساعة الرابعة بعد الظهر .

وقطعت الشارع حتى بلغت محل ويتكو لبيع الأسلحة ، وتسكعت قليلا قبل أن أشترى مسدسا جديدا ، وطلبت من البائع أن يلفه لى ثم أخذت طريقى حتى الشارع الرابع ..وعندما بلغت مبني سكستون ، ترددت قليلا ثم غيرت رأيى ، لم تكن بى أية رغبة في أن أمضى لرؤية رجل مثل مات تلسون وأنا جائع ، وقررت أن أتناول وجبة شهية ، وأن أستجم ليلة قبل مواجهته .

وبعد الغداء نزلت فى فندق ميدوين ، وطلبت أن يأتونى فى غرفتى بكأس من الويسكى والصودا ، وما كدت أجلس لكى أستمتع بأول مشروب متحضر منذ أربع سنوات حتي دق جرس الباب .

أبرز لى رجلان يقفان بالطرقة بطاقتيهما اللتين تدلان على أنهما من رجال البوليس ، وكان يبدو على أحدهما أنه محارب قديم ، وخط المشيب شعره ، وقد أبتدرنى قائلاً :

- أنا الرقيب دافيس .. هل يمكننا أن نتحدث معك لحظة ؟.

أجبت وأنا أدعوهما للدخول :

- طبعا .

رفض دافيس الكأس التى اقترحت تقديمها إليه ، ومضى إلى الغاية

رأسا فقال :

– أننا نحب دائما أن نستسبق الأحداث ، فأننا نرى أن أوقية من الحذر أجدى من رطل من العلاج .

سألته في شرود عن المعنى من هذا القول فجلس وقال :

– إنك أشتريت مسدسا ، أليس كذلك يا مستر ويتكومب ؟.

قطبت جبينى وسألته :

– هل تبعتمانى ؟.

هز رأسه وقال :

– إن بعض الأشخاص ، ومن بينهم محاميك قد حذرونا ، وعرضوا علينا الموقف ، وأنت لم تغب لحظة واحدة عن أعيننا منذ أن هبطت من الحافلة ، ماذا تنوى أن تفعل بهذا المسدس ؟.

أجبت :

– أستخدمه من وقت لآخر انظفه بكل دقة وأحفظه من الغبار والصدأ .

– أنت تعلم تماما أنه لن يمكنك الأفلات من العقاب .

– أى عقاب ؟.

حدجنى لحظة ثم قال :

– اسمع أنت رجل ذكى ، أثناء أقامتك فى السجن غدوت سكرتيرا للحارس ، ومن رأيه أنه لم ير شخصا له مثل كفاءتك ، فلماذا تريد أن تقدم على عمل أحمق .

أجبت وأنا أبتسم :

– أطمئن أيها الرقيب ، لم أفعل شيئا أحمق طوال حياتى ، الا إذا كان ذلك قضاء وقدرا .

حدق فى دون أن تطرف عيناه ثم تنهد وقال :

– حسنا أري أننى أضيع وقتى ، ولكن لا تنس أننا لن نتخل عن (مراقبتك وبعد رحليهما رحت أجرع كأس الويسكى وأملؤه ثانية كلما حلا لى ذلك .. وفى صباح اليوم التالى صحوت فى الساعة السادسة مذعورا وهى عادة تأصلت فى نفسى خلال السنوات الأربع الأخيرة ، وكنت قمينا بمغادرة الفراش بكل تأكيد مقطبا ومستاءا ، والحق أن الحياة الهادئة المستقرة لها مزاياها دون شك .

وبقيت طوال النهار فى الفراش لكى أستجم قليلا ، وبعد الظهر ، بعد أن تناولت طعام الغداء ، مضيت إلى فيرست ناشيونال لكى أودع الشيك ذى الستة آلاف دولار ثم تابعت طريقى حتى عمارة سكستون .

كانت الساعة قد أشرفت على الثالثة عندما دخلت مكتب مات نلسون كان الرقيب دافيس وزميله وسكرتيره يتملكهم الخوف ينتظرون فى غرفة الأستقبال .

ونظر دافيس إلى الكيس الذى أتأبطه تحت ذراعى اليسرى وقال :

– ماهذا ؟ .

أجبت :

– مسدس ..

هز رأسه كالمتعب المكدود وقال :

– اسمع ، هل معك ترخيص بحمل السلاح .

– لست بحاجة إلى تصريح لكى أحمل مسدسا فى غمده .

– لماذا لم تترك هذا السلاح فى أحدى الغرف ؟ ولماذا أتيت به معك ؟.

– لأننى تركت فندقى صباح اليوم ، أن أجره مرتفع ، وبهذه المناسبة ألا تعرف اين أجد مسكنا صغيرا بإيجار معتدل ؟.

– ولماذا لم تضعه فى حافظة أوراقك ؟.

– إنها محشوة جدا ، ولم أستطع إدخاله بها .

ورغم اعتراضاتى ، قام دافيس بتفتيشى أنا وحاجياتى – وبعد أن فرغ من ذلك تحول نحو الباب المؤدى إلى مكتب المحامي مات نلسون ، ورفع عقيرته قائلا :

– إنه على ما يرام ؟

وفتح باب المكتب ورمانى المحامى بنظرة شذرة ثم قال :

– على مايرام ؟ وكيف ذلك ؟ إن معه مسدسا .

قال دافيس :

–ولكنه ليس محشوا .

انفتح الباب أكثر من ذى قبل ، وبدا نلسون بقامته المديدة وقد استعاد ثقته وقال :

– يسرنى أن أراك بعد كل هذه السنين يا مستر ويتكومب ، يسعدنى أن

الأمور قد سويت بالنسبة لك .

قلت فى حدة :

– الفضل فى هذا لا يرجع إليك ، أردت أن اقول لك كلمتين .

قال نلسون :

– طبعا ، ومنع دافيس من الدخول قائلا :

أريد أن أتكلم مع مستر ويتكومب على حدة .. أرجوك .

كان مستر نلسون رجلا قد تجلت ملامحه ، وكان منخفض الجبين .

وكانت لى شكوكي فيما يتعلق بكفاءته ، ولكننى أقصيتها عنى ، بناء على توصية صديق ، وكانت هذه غلطة .

فتح درج مكتبه وهو يجلس بصورة جعلتنى أرى مقبض المسدس ، وكان من الواضح أنه يتخذ حذره ، إذا كان فى نيتى أن أقتله خنقا ، وقال مبتسما :

– مستر ويتكومب .. إننى أعرف أنك رجل ذكى .

– أشكرك ، إنني سمعت هذه المجاملة كثيرا في الوقت الحاضر ، ولكننى لم أت لهذا .

ونظرت إليه وعيناى تنطقان بالحقد المتجمع طوال الأربع سنوات .

– إنك أسأت الدفاع عنى فى المحكمة عمدا ، ومع ذلك فقد كنت من الجراءة بحيث قدمت لى فاتورة بمبلغ ١٤,٨٧٦ دولارا .

هز كتفيه وقال :

– ما أهمية ذلك الآن ؟ أنت لم تدفع لى سنتا واحدا ، ذلك لأننى كنت معدما فى ذلك الوقت ولكن الأمر الذى أثار ، حنقى هو أنك طلبت الحجز على ما أكتسبه فى السنجن فى حين كنت أشقى وأكد من أجل ٢٢ سنتا فى اليوم .

أتى بحركة تدل على الأحتجاج وقال :

– خطر لى أنك تملك ثروة فى مكان ما وأننى أستطيع انتزاعها منك عن طريق التهديد (وهز كتفيه) ومهما يكن فقد رفض القاضى طلبى .

– هذا لا يمنع من أننى لا أغفر لك ذلك أبداً .

انحنى نلسون إلى الأمام وقال :

– اسمع ، أنا لست غبيا أنا الآخر ، وأعلم أنك لم تأت هنا لكى تطلق على النار .

– هل أنت واثق ؟.

– حسنا ليس تماما ، الواقع أننى أظن أنك تدبر أمرا منذ وقت طويل وبما أنك رجل ذكى فلا ريب أنك اهتديت إلى خطة خبيثة ، أليس كذلك ؟ خطة بارعة حقا ولعلها جريمة قتل بدون مسدس ، وبدون خنجر ، وبدون أى شئ واضح وأنت مصمم على الانتظار ، ولديك الوقت كله طبعا هل تنوى أن تلعب لعبة حرب الأعصاب ؟.

نظرت من النافذة فاستطرد يقول :

– اسمع أنت لا تخفينى ولكنك رجل كثير المشاغل ، ولا أستطيع أن ألعب معك لعبة القط والفأر ، أعنى أننى لا أملك الوقت ، وإليك ما نويت عليه

أنا لا أدينك بمبلغ ٨٧٦,١٤ دولار . " وأخرج من جيبه ورقة ألقاها أمامي قائلا :

– وهذا ايصال علية كلمة مسدد وممهور بتوقيعي .

ألقيت نظرة على الورقة ولزمت الصمت ، فأستطرد يقول :

– أعرف .. أعرف .. الإيصال ما هو الا قصاصة من الورق على كل حال لا يمكن أن تفعل به شيئا ، لقد منحتك الحكومة ستة آلاف دولار ولكن لعلك تتوقع الحصول على الأكثر وأنا لا ألومك على ذلك ، فقد أدانوك خطأ ، ولعلك لا تصدقني ، ولكنني بذلت قصارى جهدى .. كان على حق ، ولكنني لم أصدقه .

ودس يده من جديد في درج مكتبه ، وأخرج هذه المرة مظروفا ضخما كان يحتوى على أوراق ماليه وضعها أمامي على شكل مروحة وقال :

– يمكنك أن تحصيها ، ستة آلاف دولار ، أوراق مالية من فئة المائة دولار ، أنني أجارى الحكومة بالدولار تقريبا ، ولكن هذا لا يعني أنني أسلم بأى شئ لنقل أنني أحب الخير فحسب .

فحصت النقود ثم قلت :

– ليس هذا هو الغرض من زيارتي ، ما المفروض أن أفعل بهذه النقود؟.

– أن تتركني في هدوء ، هذا كل شئ .

وأردف يقول وهو يرفع صوته قليلا :

– لا يهمني ما سوف تفعل بالآخرين ، ولكن دعني أنا في هدوء .. وضعت

الأوراق المالية فى جيبى وعلى شفتى ابتسامة صغيرة وقلت :

– حسنا إنك أقنعتنى بأخلاصك ، أننى منصرف ولن أعود أطلاقا .

وإذ رأيت نفسى فى الخارج حاذيت عمارتين قبل أن أتأكد أن هناك من يتبعنى ، ودخلت عدة منازل وارتقيت بعض المصاعد ، وهبطت بضع درجات وخرجت أخيرا من زقاق ضيق وأنا على يقين من أننى تخلصت ممن يتبعنى .

وفيما أنا أنعطف فى الطريق أصطدمت برجل طويل القامة بادى الأنفعال بدا مسرورا برؤيتى وابتدرنى قائلا :

– إنك تخلصت منه ، سألته فى تحفظ :

– تخلصت ممن ؟.

– من رجل البوليس .

– وأنت ؟.. من أنت ؟.

– جيم هوجان ، مخبر خاص ، كانا ينويان اللجوء إلى محام فى بداية الأمر ولكنهما خشيا أن يعتقد أن عملهما غير أخلاقى ، وعلى العكس من ذلك ، فأن المخبرين الخاصين يقومون بكل عمل تقريبا فى أيامنا هذه ، ولهذا أستخدمانى .

– ممن تعنى ؟.

– كلارك وتيلفورد .

– آه هذان الكاذبان الحقيران اللذان كلفانى أربع سنوات من حياتى قال وهو يتهددنى باصبعه :

– لن تستطيع الأقتراب منهما ، وأقول لك ذلك الآن فورا ، فقد اتصلا بالبوليس وهناك من يحرسهما أربعا وعشرين ساعة يوميا .

– هذا خير لهما .

أبتسم أبتسامة خبيثة وقال :

– وأنت على استعداد لكى تصبر ؟ أليس كذلك ؟.. أسابيع بل شهور وسنين لكى تنتقم أخيراً ستنتظر وتدرس الموقف ، وقد يقتضيك هذا قرنا من الزمان .

– أن قرنا من الزمان مدة طويلة جدا أذا أردت الصراحة .

– آه .. لديك خطة عاجلة إذن ؟ خطة ماكرة شيطانية .

– من يدرى .. أننى فكرت وقتا طويلا ولو لم يكتشف محامى أن كلارك أحسر لبقيت فى السجن حتى الآن .

– الحق أن كلارك لم يكن يعرف أنه أحسر.. كان يعتقد أن نظره جيد كغيره من الناس ، وساء زوجته أن تراه يتعثر طوال الوقت فى الأثاث فأرسلته إلى طبيب عيون ، ولكن مهما يكن سواء كان أحسر أو غير أحسر فإنه كان سيكذب على كل حال .

تنهدت :

–لماذا ؟.

قال هوجان :

– أنه تصرف مندفعا رغما عنه ولك أن تتصور رجلا يقضى حياة روتينية كئيبة لا تتغير مع الأيام ، كان رجلا تافها جدا بالنسبة لزوجته .. بالنسبة

لزوجته وجيرانه وللعالم أجمع وإذا بالفرصة تأتيه فجأة .. فرصة كان يتمناها طوال عمره .. وهى أن يلفت الأنظار إليه

نظرت إليه ذاهلا :

– هذا هو الأمر أذن ؟ أدلى بشهادة الزور وأرسلنى إلي السجن لا لشئ إلا لكى يلفت إليه الأنظار

قاطعنى هوجان قائلا :

– لم يكن يدرى أنه سيتسبب فى الزج بك إلى السجن .. كل ما كان يفعل هو أنه كان يؤيد شهادة تيلفورد فحسب .

– وتيلفورد ؟ .. لماذا كذب ؟.

– لم يكن يريد أن يفتش البوليس سيارته .

– أظن أنه كان ينقل جثة فى حقيبة السيارة ؟.

– كلا ، وإنما كان ينقل خمسين كيلو من السمن النباتى .

أطبقت عينى واستطرد هوجان :

– تصور المنظر ! كان تيلفورد عائدا فى الساعة الثانية صباحا من زيارة لأخيه فى اينوا ، وسيارته مشحونة بالسمن الصناعى لأنها أقتصادية وأكثر وفرا من السمن الطبيعى وهو ينطلق فى هدوء والشوارع مقفرة ويسمع فجأة صفارات الأنذار صادرة من سوبر ماركت كاميكى ، ولم ير شيئا ولكنه سمع فى هذه اللحظة صفارات الإنذار الخاصة بسيارات البوليس ، ولما كان لا يريد أن يكون له أى شأن فى تلك المسألة فقد عاد إلى عربته ، ولكن فى تلك اللحظة بالذات ظهرت سيارة البوليس ، وهبط منها

شرطى شاهرا مسدسه وتقدم نحوه ، وفهم ما يدور فى رأس الشرطى على الفور ، فقد أدرك أنه يظن أنه هو الذى تسبب فى أطلاق صُفارة الأنذار وعندئذ تملكه الذعر .

– ولماذا بحق الشيطان ، في عهدنا هذا لا يخشى البرئ شيئا من القانون .

وفكرت فيما نطقت به فتنحنحت وقلت :

– أستمر .

– لم يكن يخشى الأتهام بمحاولة السطو ، ولكنه خشى أن يبحث البوليس عن مفك أو عتلة أو أية أداة من هذا النوع فيكتشفون السمن الصناعى ، وما قد يعقب ذلك إذا نشرت الصحف الخبر.

هززت رأسى وقلت :

– أننى أعرف أن ولاية ويسكونسين هى الولاية الوحيدة التى تفرض ضريبة على السمن الصناعى ، ولكن هذا ألم يمنع أهالى ويسكونسين من التزود بما يريدون منه كلما سنحت الفرصة لأجتياز الحدود ، ولم أسمع أبدا أن البوليس ألقى القبض على أحد لهذا السبب .

قال هوجان :

– هذا صحيح ، ولكن لنعد إلى تيلفورد ، إنه كان موظفا بشركة الباك ليكسان ، لصناعة الزبدة الطبيعية ، ولو أن الناس عرفوا أنه يستخدم السمن الصناعى .

فهمت لب الموضوع الآن لو ان أمره أنكشف فى ذلك الوقت لطردته

الشركة لحماية سمعتها .

قال هوجان :

– هو ذلك ، ولهذا أشار بأصبعه نحو الغرب وهو يصيح :

– من هنا ، أنه هرب من الخلف .

قلت :

– فهمت أنه أراد أن يحول الأنظار عنه ، ولكن عندما ألقى البوليس القبض علينا ، أنا وستة أشخاص آخرين فى الشوارع المجاورة وعرضونا عليه ، لماذا لم يقل أنه لم ير أحدا منا أبدا .

– كانت هذه نيته ، ولكن عقب أستجواب البوليس له تملكه الأنفعال وخشى أن يثير ذلك شبهتهم فيفتشوا سيارته ، فمد أصبعه مرة أخرى وصاح :

– أنه هو .. هو هذا الرجل .

ومجرد ذكر ذلك الأصبع المتهم أحيا ضغينتى .

أرسلنى إلى السجن عامدا إذن للحفاظ على وظيفته كمهرب .

– ليس تماما ، كان ينوى المضى إلى بيته وتفريغ الشحنة فى ثلاجته ثم يعود إلى قسم البوليس ليعتذر ويقر بخطئه .

– ولكنه لم يفعل ذلك .

– هذا صحيح ، لأنه ماكاد يفرغ من شهادته ضدك حتى رأى كلارك فرصته فى إثبات وجوده ، فخرج من الحشد الصغير المتجمع وعزز التهمة

وإذ ذاك أعتقد تيلفورد أن شهادته صحيحة ، ورأى أنه ليس هناك أى سبب معقول لكى يغير أقواله الأولى ، فما كان ليثير شكوك البوليس ويضعه فى موقف شديد الحرج .

تنهدت :

– وأظن أن كلارك لم يجد أى ضرر فى قليل من الدعاية ، لأنه كان يعتقد أن تيلفورد يقول الحقيقة .

هز هوجان رأسه مؤيدا وقال :

– واستمر الحال على ذلك حتى أكتشف ماكينتر أن كلارك أحسر ، وأنه بدأ يلبس النظارات بعد شهرين من إدانتك ، ولم يشأ كلارك الاعتراف بأنه كذب ولكنه أعترف على كل حال بأنه ليس واثقا من أنه رآك ، وعندما سمع تيلفورد ذلك أنبه ضميره واعترف أخيرا بأنه هو الآخر غير واثق من أنه رآك فعلا ، ولهذه الأسباب أطلق سراحك أمس .

– واضح أن كلارك وتيلفورد ما كانا ليعترفا بذلك للبوليس فلماذا أخبرتني أنت بذلك ؟.

– لأننى أطمع فى شفقتك وسماحتك ، هذان الرجلان ليسا من الأشرار ولم يكن أى منهما يريد بك ضرا .

– ومع ذلك فقد أفلحا من حرمانى من حريتى أربع سنوات .

رفع يده مهدئا وقال :

– اعترف كلارك وتيلفورد بعد جهد كبير بأنهما ظلماك حقا ، ولهذا استقرت نيتهما على أن يمنحك كل منهما تعويضا قدرة خمسة عشر دولارا

شهريا مدى الحياة .

– مدى الحياة .

قال هوجان :

– هو ذلك طالما بقيت أنت على قيد الحياة طبعا .

أمعنت التفكير فى هذا الأقتراح نصف دقيقة ثم قلت :

– ولماذا لا يدفعان لى مبلغا جزافيا ؟.. لنقل ستة آلاف فرنك ؟.

ابتسم أبتسامة خبيثة وقال :

– وما الذى يمنعك من الأنتقام منهما بعد أن ينقداك هذا المبلغ ! (وضحك) كلا أنا الذى نصحتهما بالدفع بهذه الطريقة وبهذا لن يخطر لك قتل الدجاجة التى تبيض لك بيضة من ذهب .

كان هذا الإيضاح يستحق التفكير ، وقلت بعد لحظة :

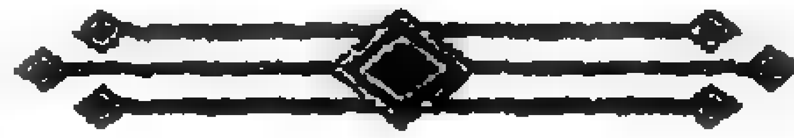
– لابأس هذا مبلغ يغطى إيجار المسكن .

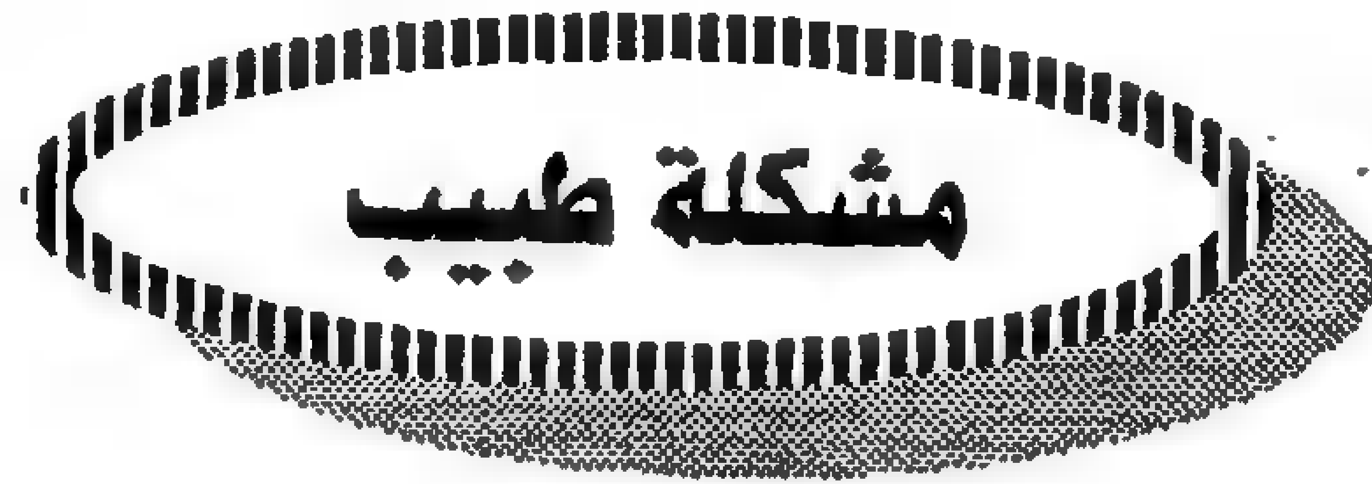
وافترضا وديا ، ودخلت أول بار التقيت به ، ورحت أفكر .. أن طرق القدر غريبة حقا ، فقد ذهبت لزيارة مات تلسون ومعى شيك بمبلغ ٨٧٦،١٤ دولار فى حافظتى ، فأنا رجل أحب سداد ديونى ولو حتى لرجل غير كفء كمات تلسون ، ولكن بدلا من ذلك .. ورحت أجرع كأس الويسكى .

أما كلارك وتيلفورد ، فاذا لم أكن أتمنى لهما حياة طويلة بالذات فلم يكن فى نيتى التدخل فى المجرى العادى لطول حياتهما ، وهكذا وجدت نفسى ومعى أثنى عشر ألف دولار ، فضلا عن ثلاثين دولارا دخلا شهريا .

وقد كان فى ذلك ما يحدونى إلى أتخاذ الحذر والتخلى عن مواجهة الأخطار ، ولكننى لم أفعل مع ذلك ، فقد كان لابد لى من المضى حتى النهاية .. كانت مسألة كرامة مهنية ، فأنا لم أعرف الفشل قط فى حياتى.

ولهذا السبب كنت أقف من جديد ، فى الساعة الثانية صباحا ، أمام الخزانة الحديدية لسوبر ماركت كارنيكى ، وفى هذه المرة حرصت على أن لا ينطلق جرس الأنذار سهوا .





ما أن بلغنا ردهة المحكمة حتى تقلص وجه بابا كطفل فأجاته نوبة من ألم الأسنان وراح ينوح قائلا :

– سأموت .

قلت :

– أنت فى أحسن حال يا بابا ، سوف تفنينا جميعا صاح وفى حلقة شهقة :

– عشرة آلاف دولار .. دفعت هذا المبلغ كفالة لذلك العميل الذى أتيتنى به ياأستاذ جوردان ، وقلت لى لا تشغل بالك ليس هناك أى خطر .. وأين هو الأن هذا المجنون ؟.. لماذا لم يحضر إلى المحكمة ؟ كان فيك بابا دوبولو ونحن ندلله وندعوه بأسم بابا أصلع الرأس ، كامد البشرة قصير كالبرميل بأنف ملئ بالأوعية الشعرية .

قلت معترضا :

– أنت رجل تحترف دفع الكفالات ، وهذا مجال فيه أخطار كغيره ..

أحيانا فيه الخسارة والربح أحيانا أخرى .

تسبب قولى هذا فى زمجرة حافلة بالقلق وقال :

- يجب أن تجد هذا الرجل ياأستاذ ، أنت مدين لى بهذا هل سمعت قول القاضى ؟ إذا لم يمثل أمام المحكمة فى الساعة العاشرة من صباح الغد فسوف تصادر الكفالة ، أذا كان رجلك قد هرب يا أستاذ جوردان فسوف أتكفل بتدمير سمعتك كمحام فى أنحاءالمدينة ولن تساوى أتعابك المقبلة شيئا تقريبا .

- سوف يحضر يا بابا ، سيحضر جافى إلى المحكمة حتى ولو اضطررت إلى حمله فوق كتفى ، أنه ليس من الرجال الذين يحنثون بوعودهم ، خاصة إذا كان الأمر متعلقا بكفالة ، ولن يسمح بذلك أبدا .

كنت مقتنعا بصدق ما أقول ، فإن طبيبا شابا يعمل فى إحدى المستشفيات تحت التمرين لا يمكن أن يخاطر بمستقبله ويقدم على مثل هذا العمل الذى سيتسبب دون شك فى تدميره نهائيا ، والآن جافى طبيب شاب متين وقوى الجسم ، وسيم الوجه وكريم الشمائل وطموح ويتصف بكل الصفات فيماعدا أنه أعتاد المقامرة ، سواء لعب البوكر أو النرد أو الروليت أو أى شئ .

وهكذا بدد الميراث الكبير الذى خلفه له أبوه ووجد نفسه فجأة مدينا بأكثر من أربعة آلاف دولار لأحد وكلاء القمار الذين يقرضون المقامرين المال بالربا ، وإذ لم يستطع أن يرد الدين أرسل إليه الوكيل رجلا من رجاله الأشداء ، وكانت تلك غلطة فقد كان جافى من أبطال الملاكمة فى الجامعة وخرج " البلطجى " من هذا اللقاء بأنف مهشم وأسنان مكسورة ، غير

الكثير من الكدمات والسجحات والجروح المختلفة .

وأذ تسببت هذه المعركة فى بعض الأرتباكات فى حركة المرور فقد تدخل البوليس ، ونقل المصاب إلى المستشفى ، فى حين سيق جافى إلى السجن .

وفى محكمة الجنح ، ورغم أننى ترافعت على أساس الدفاع عن النفس ، فأن القاضى بالأتفاق مع وكيل النيابة ، رأى أن يدفع جافى كفالة جسيمة قائلا أن قبضات ملاكم محترف يجب أن تضم إلى أشد الأسلحة خطرا وحدد موعدا للقضية .

وهكذا ، وفى الساعة العاشرة من صباح اليوم بالذات مناد الحاجب على القضية .. قضية نيويورك ضد آلان جافى ، وجلس القاضى فى مقعده الرئيسى وجلس المحلفون فى أماكنهم ، وتأهب وكيل النيابة لمباشرة عمله فى حين وقفت أنا نفسى للبدء فى المرافعة صفوة القول ، كان الجميع موجودين فيما عدا المتهم نفسه فلم يظهر .

قلت :

–سيدى الرئيس ، أن موكلى طبيب موظف بمستشفى مانهاتن ولا ريب أنه تأخر لعذر هام ونحن الآن أمام مشكلة .

قال القاضى فى غلظة :

– كلا يا أستاذ لسنا أمام مشكلة ، أنما المشكلة مشكلتك أنت وأننى أمهلك عشرين دقيقة لكى تفرغ منها .

وأنتهزت تلك المهلة القصيرة التى منحت لى وأسرعت بمغادرة المحكمة

ومضيت إلي أقرب كشك تليفون ، وأتصلت بالمستشفى ، ولكن قيل لى أن الدكتور جافى لم يظهر فى ذلك اليوم ، وأتصلت بمسكنه ولكن التليفون رد على أنه مشغول ، وكان الظاهر أن جافى لا يزال فى منزله .

وبعد أن أنتهت العشرون دقيقة عدت أمام القاضى التمس سماحته ولكنه قطع على الكلام وهو فى منتهى الغضب والأستياء وقال :

– إن سماحة المحكمة قد أنتهت يا أستاذ جوردان ولا أستطيع قبول الأحتقار الذى يبديه عميلك نحو المحكمة ورجال الحكومة ، أنني أصدر الأمر بالقبض الفورى على المتهم ، وأذا كان قد تجرأ وغادر الولاية فسوف تبقى الكفالة من حق الحكومة .. سأمهلك حتى الساعة العاشرة من صباح الغد يا أستاذ ، ولا دقيقة وحدة بعد ذلك .

وتسربل فى ردائه ونادى على القضية التالية .

كان أضطراب بابا مفهوما فأن عشرة آلاف دولار ، فى الأزمة التى تمر بها البلاد تعتبر مبلغا جسيما ، وتخلصت من أصابعه التى أمسك بها ساعدى كالمخلب ومضيت نحو التليفون من جديد ، وكان لايزال مشغولا فقررت عندئذ المضى إلي مسكنه ، فأخذت سيارة أجرة ، وذكرت للسائق العنوان بالشارع السابع والسبعين الغربى .

كان جافى يقيم فى الدور الثانى من عمارة قديمة خربة ، ولم يرد أحد على رنين الجرس ،ولكنني رأيت الباب مواربا فدخلت ورأيت منظرا عجبا ، قد كانت الشقة فى حالة تدل على أنها خضعت لتفتيش دقيق ،ومضيت إلى غرفة المعيشة ، وأنا أتوقع أسوأ الأمور .

كان موكلي هناك ، ملقى بجوار الفراش ولم تكن المعركة هذه المرة في صالحة ، فإن شخصا ما، بل أعتقد أن أشخاصا كثيرين قد أوسعوه ضربا وكان وجهه كقطعة من اللحم المفروم .وحاول أن يكلمني ولكنه لم يستطع الا النطق بكلمات غير مفهومة ، كان واضحا تماما أن ذلك الطبيب الشاب بحاجة إلى عناية عاجلة .

وبحثت عن التليفون ووجدت السماعة مرفوعة وفسر لي ذلك السبب في " المشغول " ، وأعدتها مكانها وجاءت الحرارة بعد قليل فطلبت مستشفى مانهاتن وقلت لهم أن أحد اطبائهم مصاب وأن حالته تبدو شديدة الخطورة وبعد أن ذكرت لهم الاسم والعنوان وأردفت أن الحالة عاجلة جدا وأنصحكم بالأسراع أذا كنتم لا تريدون أن تفقدوه ".

وعدت إلى جوار المسكين ، ورأيت أنه فقد وعيه أثناء ذلك وكان هذا خير ما يقع له ولم تتأخر عربة الأسعاف ، وسمح لي بمرافقته ، وجلست بجوار السائق في حين راح البعض يقومون خلفنا بالأسعافات الأولية وأنطلقت سيارة الأسعاف وصفارة الأنذار تفسح لها الطريق وسألني السائق من الذي فعل به هذا .

- لا أدرى أنني وجدته في هذه الحالة .

- هل أنت صديق الدكتور جافى ؟

- أنا محاميه .

- ألم يكن من المفروض أن يذهب إلى المحكمة صباح اليوم ؟.

- هل تعلم ذلك ؟.

– طبعا أنه كان يقوم بالخدمة فى هذه السيارة بالذات طوال الأسبوع وقد روى لى قصته ، كان مدينا بمبلغ كبير لاحد وكلاد المراهنات ، ولم يكن يملك سنتا واحدا ،وقد ضرب المحصل الذى جاءه يهدده بقسوة ورغم أن الأمر دفاعا عن النفس فأن محامية لم يكن يدرى كيف ستكون النتيجة ،كل هذا جعله يبدو عصبيا جدا صباح الأمس ،ولما كنت أعرف طبعه تماما فقد دهشت للتغيير المفاجئ الذى طرأ عليه .

– أى تغيير ؟ .

– تغيير تصرفاته ، فقد ظل متجهما طوال النهار ، وفجأة ، وفى نحو الساعة السادسة بدا أنه أستعاد مرحه وراح يضحك بصوت عال ويبدى الكثير من المداعبات .

– وما سبب هذا التغيير المفاجئ ؟.

– أدهشنى تغييره هذا بعد اهتمامنا بمضيفة الطيران .

– أية مضيفة ؟.

بدا الأسى على وجه السائق وقال :

– أنها فتاة تعمل فى خطوط جلوبال للطيران ،مسكينة تلك الفتاة ، استقلت سيارة أجرة من مطار كيندى مضت بها إلى المحطة الرئيسة وبينما كانت تجتاز شارع كنجستون صدمتها سيارة ، يا إلهى كان ذلك السائق الأرعن مسرعا جدا ، كانت المسكينة فى حالة يرثى لها ، ورأى جافى أنها لن تنجو ، ولم أدر ماذا كان يفعل معها خلفى ، ولكننى أقسم لك أنه أبدى اهتماما كبيرا بها .. أكسوجين ، وحقن .. صفوة القول ، قام معها

بكل المحاولات حتى بلغنا قسم الحالات العاجلة ، وعندما خرج وجلس بجوارى لتمضى نحو حالة أخرى لاحظت التغيير الذى طرأ عليه ، كان ذلك يبدو ، كالسحر فبدلا من التجهم والعبوس كان منبسط الاسارير ، يكاد يطير فرحا .

هل تتذكر اسم تلك الفتاة ؟.

– كورث .. اليسون كورث ، أتذكره لأن جافى بذل جهدا جبارا لمساعدة طبيب الحالات العاجلة بحيث أننى انا الذى دونت البطاقة الطبية.

ادخل محدثى سيارة الاسعاف فى إحدى اجنحة المستشفى وقطع صفارة الانذار ثم اتجه بها إلى منحدر أوقفها فى قمته .

وترك مقعده للمساعدة فى نقل المصاب خلال الابواب الدوارة التى ينتظر امامها بعض الإطباء للعناية به .. واصطدمت بممرضة حيزبون ارسلتنى بحركة صارمة اتسكع فى صالة الانتظار .

وجلست بين جماعة من الناس يبدو عليهم الضجر ، ولم يكن بوسعى ان أفعل الا مثلهم وأنا أفكر فى الان المسكين ، كانت كل الظواهر تدل على أن الدائن ، ويدعى سام تارلوف ، وقد سبق أن رأيتهما معا أكثر من مرة لم ترق له العلقة الساخنة التى لقيها محصله ، وكان لابد له أن يتصرف لكى لا يصبح أضحوكة بين الناس ولكى يستمر فى ارهاب المدينين الآخرين .. أراد أن يجعل من جافى امثولة للآخرين .

ونهضت رحت أذرع الغرفة وأنا بالغ الاضطراب ، ودفعنى الفضول الى الحركة فمضيت إلى مكتب الأستقبال وطلبت مس اليسون كورث .

أجابتنى الموظفة بعد أن نظرت إلى السجل .. الغرفة رقم ٦٢٥ ، أخذت المصعد وإذ وجدت نفسى فى الدور السادس مضيت الى الغرفة المذكورة دون أن أسأل أحدا ووجدت الباب مواربا ، فأطللت برأسى إلى الداخل ورأيت فى الفراش شخصا مربوطا بالضمادات وزراعه اليسرى وساقه اليمنى معلقتان فى جهاز ، وكان يبدو أنه تناول منوما قويا ، والجزء الذى رأيته من وجه المصاب كان متقلصا وقد استحال إلى لون رمادى بشع .

وإرتفع صوت فى الظلام جعلنى أجفل :

– هل أنت أحد الأطباء ؟. كان الشخص الجالس على المقعد بركن الغرفة يبدو مرهقا ، وفى ابلغ حالات اليأس والتعب .

– أجابتها :

– كلا يا سيدتى .

– فى هذه الحالة ، إذا كنت وسيطا من قبل شركة التأمين الخاصة بسيارات الأجرة فاغرب عن وجهى ، سنكلف محاميا بتسوية هذه القضية وما عليك الا اللجوء اليه .

– يبدو لى هذا قرارا حكيما فى الواقع ، هل أنت صديقة لمس كورث؟ أنا أختها .

– إنك تجيدين الدفاع عن حقوقها ، لا تتركى أحدا من وسطاء التأمين يوقعك فى أحابيله ويحملك على التوقيع على أية ورقة قبل أمعان التروى والتفكير .

نهضت الفتاة واقتربت منى ، كان فى عينيها السوداوين تعبير يدل على

قلق شديد ، وسألتنى :

- هل تعرف اليسون ؟.

- كلا يا سيدتى .

- من أنت أذن ؟.

أخرجت احدى بطاقاتى وناولتها لها فقالت فى شئ من الشك :

- سكوت جوردان ؟ .. هذا غريب ولكننى لم أطلب محاميا بعد ، هل أنت من هؤلاء المحامين الذى يتبعون سيارات الأسعاف بحثا عن العملاء .

- كلا يا مس كورث ، إن نشاطى لا يمتد حتى هذا المجال .

- لحساب من تعلمى اذن ؟ .

- لحساب الدكتور آلان جافى .

- الطبيب الذى عالج اليسون فى سيارة الاسعاف ؟ .

- نعم .

- إنه رجل كريم ، لقد عاد أمس أكثر من مرة ليستفهم عن صحة أختى ، وأردفت تقول وهى مقطبة الجبين :

- ولكننى لا أفهم لمذا يحتاج الدكتور جافى إلى محام .

- هذه قصة طويلة يامس كورث ، وأنا على استعداد لكى أسردها عليك ولكن هل لك فى فنجان من القهوة معى ، هناك كافيتريا محترمة فى الدور الأرضى .

وأردفت فى اقتناع وأنا الحظ ترددها :

– لا يمكنك أن تفعلى شيئا لأختك فى الوقت الحالى ، وسنطلب من إحدى الممرضات أن تلقى عليها نظرة من وقت لآخر .

قبلت الفتاة اقتراحى ، وتبعتنى إلى المصعد بعد أن مررنا بغرفة الممرضات ، وإذ بلغنا بابها خرج منه رجل ما أن رأى زميلتى حتى صاح : آه .. فيكى !.

قالت فى برود :

– صباح الخير يابن .

– كيف حالى اليسون ؟.

– لم تتغير .

– ألم تسترد رشدها ؟

– بضع لحظات لا غير ، ولكنهم أعطوها مسكنا ونامت لا يجب ازعاجها .

كان الرجل متغضن الوجه ، له شعر أسمر مجعد ويرتدى ثيابا رياضية وكان معتدل القامة ، رمانى بنظرة فاحصة مما حدا بفيكى إلى أن تقوم بواجب التعارف فقالت :

– بن كوان ، طيار مساعد بالطائرة التي بها اليسون .. سكوت جوردان

وسألها الرجل بعد انحناءة قصيرة :

– هل تنصرفين .

قلت :

– سنمضى إلى الكافيتريا .

- هل يمكنني أن أنضم اليكما .

قالت الفتاة :

- أنا آسفة يجب أن أتبادل حديثا أنا ومستر سكوت .

قال بن كوان غير عابئ بلهجتها الجافة :

- إنني فاهم ، تكرمي وقولي لاليسون انني جئت لأسأل عنها وانني سأعود فيما بعد .

- سوف أفعل .

ولزمنا الصمت أثناء هبوط المصعد ، وانصرف الطيار بعد وداع وجيز وبعد لحظة كان كل منا قد أخذ قدحا من القهوة ، وجلسنا حول مائدة في مكان منعزل وقلت :

- يبدو لي إنك لا تميلين كثيرا لهذا الطيار .

- انني أمقته .

وكان ردها فوريا وعدت أقول :

- أهو صديق حميم لأختك ؟.

قسمت ملامح فيكي وأجابت :

- لقد وقعت اليسون في حبه ، ولست أحبذ ذلك ، فإن مجرد النظر اليه يثير أعصابي .

- وما السبب ؟ لنقل أن هذا شعور غريزي ، نوع من الاحساس ، كنا أنا وأختي قريبين دائما من بعض إنها تشاركني مسكني كلما توقفت بها

الطائرة فى نيويورك ، وبدأت تخرج مع كوان منذ نحو سنة ، حب من أول نظرة ، مع أن هذا ليس من طبعها كانت اليسون تبثنى اسرارها فيما سبق ولكن منذ أن تعرفت بهذا الغر الأحمق بدأت تحفظاتها وأسرارها .. إنني قلقة بشأنها لأنها سانجة وسليمة الطوية ، ومجردة من كل المشاعر العملية وكان لابد الآن من أن .

وراحت ترتعش وقد تملكها الانفعال ، وراحت أجرع قهوتى فى صمت ، تاركا لها الوقت لكى تتمالك نفسها .

وبعد لحظة سألتني عن جافى في صوت أجش ، وأخبرتها بمشاكله المالية وبموقفة من دائنه ، والعنف الذى أعقب ذلك ، وعدم مثوله فى المحكمة ثم اطلعتها بذهابى إلى مسكنه والحالة المحزنة التى وجدته عليها وبدأت تبكى متأثرة ولكن سرعان ماعادت أفكارها إلى أختها ونهضت لكى تعود إلى غرفتها ورافقتها حتى الدور السادس ، ثم انصرفت بحثا عن شخص يمكن أن يزودنى بأنباء ألان .

ووجدت طبيبا يكاد يقع من الارهاق ، فقد ظل يعمل طوال عشر ساعات واضطر أن يعالج مرضى غير مرضاه ، وقال لى :

– أسف يا سيدى ، ولكن الدكتور جافى فى حالة لا تمكنه من الكلام مع أى أحد .

– ولا حتى مع محاميه .

– ولا حتى مع محاميه ، فان فكه مكسور وقد ثبت بمكبس ، ولابد أن يبقى تحت المسكنات ثمان وأربعين ساعة على الأقل .

ألا يستطيع أن يكتب شيئا ؟ .

- ربما ولكن ليس قبل ثمان وأربعين ساعة ،لان اصبعين من يده مكسوران .

يومان !.. كان الموقف يعتبر كارثة بالنسبة للشاب المسكين وكنت مصمما على أن لا أنتظر دون المغامرة بشئ فخرجت من المستشفى وهممت بأن استوقف سيارة أجرة عندما أحسست بقبضة قوية فوق كتفى . كانت قبضة الطيار المساعد بن كوان .

وخاطبنى قائلا :

- التمس المعذرة لازعاجي لك يا مستر جوردان ، ولكننى شديد القلق بخصوص اليسون ، ولم استطع الحصول من أى أحد بالمستشفى علي أية معلومات عنها ، وقد خطر لى أنك بصفتك صديقا لفيكي قد تعرف عنها المزيد .

- ولماذا لا تسألها أنت بنفسك ؟.

أجاب معترفا :

- أنا وفيكى لسنا على وفاق ، ثم إنها لا تحبنى ابدا .

- الواقع أننى أنا نفسى ليس لدى أية معلومات .

- ألم يقل الأطباء شيئا لفيكى ؟.

- مهما يكن فهى لم تذكر لى شيئا ، والحق يا مستر كوان إنني لا أعرف الأختين ، وقد التقيت بفيكى اليوم فقط .

قال الطيار بادى الدهشة :

حقا كان لدى إحساس آخر . ظننت إنك أتيت إلى المستشفى لكى ترى

فيكى .

- أبدا، إنما أتيت لكى أرى أحد عملائى .

قال وقد ازدادت دهشته :

- أحد عملائك .

- أنا محام ، وأنوب عن الطبيب الذى عالج اليسون عقب حادثتها على الفور .

- جافى ؟.. هل حدث له شئ ؟.

- الواقع أن الأمر يتعلق بالدكتور جافى .

- حسنا . سأتركك الآن فانتى أرى أنك لا تستطيع ان تسدى إلى أية مساعدة .

قلت مختتما :

- أخشى ذلك .

وتركته مكانه وركبت سيارة أجرة توقفت استجابة لاشارتى .

كانت لافتة " مكتبة تارولوف " ، معلقة على واجهة محل كبير بالشارع الرابع حيث يقوم صهر السالك ببيع الكتب لمن يريد من رواده ، أما سام تارلوف نفسه فكان يقوم بنشاط كبير كوكيل مراهنات فى الدور الأول وامامه ستة تليفونات لم يكن صليلها ينقطع الا فيما ندر ، وبعض الموظفين المشبوهين ، وكان بيج سام يهيمن على الجميع وهو رجل ضخم يبدو دائما وعلى شفتيه ابتسامة عريضة لا تتاسبه أبدا .

عرفني بمجرد دخولي وترك المنصة التي يشرف منها على رجاله وتقدم نحوي هاشا باشا وهو يقول :

– أي استاذي العزيز .. يسرني أن أراك ، هلم إلي مكتبي اذا اردت .

تبعته إلى غرفة صغيرة جانبية وسألني وقد اتسعت ابتسامته :

– حسنا هل تفكر في المراهنة يا أستاذ جوردان ؟.

أجبت :

– أشكرك إنما جئت اليوم بسبب آخر ، أريد أن أرى يديك فحسب .

– يدي ؟.. ولماذا ؟ لا تمكر معي يا صاموبل ، فانت تعرف مثلي أن الدكتور جافي في المستشفى في هذه اللحظة .

– وأين تريد أن يكون ؟.. اليس موظفا فيها .

– هو ليس بها الآن كطبيب .. وإنما كمصاب .

– آه ..ماذا حدث له ؟.

– هاجمه بعضهم وتركوه شبه ميت فوق الأرض ، ولهذا أريد أن لم يكن بيديك بعض السحجات .

– آه ، هل تظن إنني اعتديت عليه .

– أنت أو بعض رجالك ، اعترف معي أن هذا استنتاج جائز .

– لان جافي ضرب أحد رجالي .

– نعم . ولأنه يدين لك بمبلغ جسيم .

– أنت مخطئ يا أستاذ ، إنه لا يدين لي بأي شئ ، فقد سدد المبلغ

بالكامل ، حتى آخر دولار بما فى ذلك الأرباح مساء أمس .

– صاموبل .. ان كنت تمكر معى فأنا أكثر منك مكرا ..ما كان جافى ليستطيع أن يسدد لك ذلك المبلغ من مرتبه كطبيب .

– ليس هذا من شئونى يا أستاذ ، إننى أعطيته ايصالا ، وهو الذى يجب أن تسأله .

– لا يستطيع أن يتكلم ، فان فكه في مكبس .

– فتش جيوبه ،لابد أن يكون الايصال معه .

الساعات الطويلة التى قضيتها فى استجواب الشهود أمام منصة المحكمة زودتنى بغريزة استطيع بها إكتساب الكلمات الزائفة ،وكان من الواضح أن تارلوف لا يكذب ،وقلت له :

– إننى أصدقك ،ولكنك متورط فى الأمر ، فمن فى رأيك يمكن أن يضربه بكل ذلك العنف .

أجابنى وهو يرفع يديه فى الهواء .

– لا أدرى ولكنه كان عرضة للمخاطر ياأستاذ وكان لابد أن يقع ما وقع فى أى يوم ، فان جافى شاب متهور جدا ، ولا يتوقف عن القمار ، حتى لو لم يكن فى جيبه سنت واحد ، واذا كان ذلك قد حدث فلابد أنه تلاعب مع أحد المرابين المتصلبين وأستطيع أن استعلم ، إذا اردت .

– سوف تسدي لى خدمة كبيرة اذا فعلت .

– إننى على استعداد لخدمتك دائما يا أستاذ جوردان ،وبخصوص ذلك الرهان الصغير فسوف أشير عليك ..

– ليس اليوم يا سام ، هل استطيع استخدام أحد تليفوناتك .

– أنت ضيفى .

تكلمت مع المستشفى لكى أتصل بفيكى كورث ،كانت دائمة السهر على أختها ،وسألتها ان كانت اليسون مرتبطة بشخص آخر فى شركة جلوبال للطيران ، فاعطتنى اسم احدى صديقاتها وتدعى آن ليزلى تقيم فى مبنى باربيزون وهو بيت سكن الفتيات العازبات ،وعرضت فيكى أن تتصل بها وتخبرها بزيارتى لها .

ووجدت آن ليزلى فى انتظارى فى البهو بعد قليل ،وهى فتاة ممشوقة القوام ،وكانت شديدة القلق على زميلتها ، وسألتنى متى يمكنها أن تراها .

– بعد يومين أو ثلاثة على ما اعتقد .

قالت بلهجة اليأس ياخيبة الأمل إننا سنطير يوم الأربعاء .

– لأية وجهة .

– نفس المكان ..امستردام ، وبنفس الغرفة ايضا فيما عدا اليسون .. إننى سأفتقدها حتما .

– أظن ان الطيار المساعد بن كوان سيفقدها هو الآخر .

بدا الحذر على مس ليزلى وقالت :

– آه .. هل عرفت بأمره ؟.

– كلمتنى فيكى عنه .. وهى غير راضية عن علاقتهما .

قالت المضيفة وهى تعض على شفتيها :

- وأنا أيضا ..ان هذا الكوان زير نساء ويحب استغلالهن دائما ، حاول أن يغويني قبل اليسون قبل أن تنضم الينا ولكنني صددته لأنه لا يوحى بالثقة اطلاقا ، هل التقيت به ؟.

- نعم ويبدو لى أنه شديد التعلق بصديقتك .

- إنه ممثل من الدرجة الأولى .

- ولكن كلا منهما متعلق بالآخر على كل حال .

- إذا كنت تعنى بذلك إنهما يختلفان إلى كل مكان معا فهذا صحيح وليس هذا سرا من الاسرار .

- كيف تفسرين اذن إنه عند هبوط الطائرة فى المطار لم يرافق فيكى الى المدينة .

- ذلك لأنه احتجز فى الجمرك ، أخذوه أمام أعيننا إلى أحد تلك الأماكن المنعزلة ، وسمعته يقول لاليسون أن لا تنتظره ، وأنه سيلحق بها فيما بعد .

- هل من المألوف أن يحتجز أعضاء الفرقة فى الجمرك هكذا .

- أوه ، كلا لم يقع لى ذلك أبدا ، ولكن لم يكن الأمر بذى أهمية لأننى علمت فيما بعد أن بن سينضم الينا فى رحلة يوم الأربعاء .

ورحنا نثرثر هكذا لحظة ثم فارقتها على وعد منى بأن أخبر صديقتها بأنها ستمضى لزيارتها حالما يسمح الأطباء بذلك .

وعدت إلى مسكن جافى ، ولما كان البواب يعرفنى فقد سمح لى بالدخول .

وبدأت التفتيش فى وسط الفوضى التى تركوها بها ، كانوا قد فتشوا كل شئ فيها بعناية كبيرة ، فشقوا قماش المقاعد بالموسى ، وتناثر القطن فى كل مكان ، والقيت الادراج على الأرض ،وفحصت أنا كل الأوراق التي أستطعت أن أجدها ولم أجد أى أيصال باسم سام تارلوف ولكننى وقعت بعد ساعة على شئ أكثر أهمية وهو صورة مستند نقدى بايداع شيك بمبلغ اربعة وثلاثين ألف دولار ببنك جوتان بتاريخ الأمس .

ظللت أحدق فى هذه الورقة وانا أتساءل كيف يملك جافى المفلس هذا المبلغ الجسيم مع إنه لم يستطع سداد أربعة آلاف دولار قبل ذلك بأربع وعشرين ساعة .

من الذى أعطاه هذا الشيك ،وسدادا لأى شئ ،وفيما أنا أفحص ذلك المستند بدأت ترتسم فى ذهنى خطة لأننى كنت أعرف بعض الأصدقاء ببنك جوناتان ، وأعرف ان ملفات البنوك ليست بالسرية التامة التى يعتقدها الناس .

وبعد ثمان وعشرين دقيقة كنت أجتاز الباب الدوار للبنك ومضيت إلى مكتب مستر هنرى وارتون ،مساعد المدير ،وكنت قد سويت له قضية هامة منذ أقل من أربعة شهور ،ونهض الرجل لمصافحتى ثم تهالك فى مقعده وأصغى إلى فى إهتمام ،وطرفت عينه وهو يرى المستند وحك جبينه فى شئ من التردد وقال :

– إن ما تطلبه يا أستاذ جوردان أمر شاذ تماما .

– أعرف ذلك يا مستر وارتون .

– ليس من عادة البنك أن يكشف أسرار عملائه .

- وأعرف هذا أيضا .. إنك تضعنى فى موقف حرج حقا .

قلت للمرة الثالثة :

- أعرف ذلك .

نهض الرجل وهو يتنهد ومضى إلى مكان خفى ، وإنتظرت فى صبر وعندما عاد ، لاحظت أن جبينه يتفصد بالعرق ، وتنحنح كثيرا قبل أن يتكلم ويقول معتذرا أخيرا :

- أنت تعرف طبعا أن كل ما سأذكره لك يدخل فى نطاق السرية .

- طبعا قال وهو يخافت من صوته :

- إن الايداع الذي يهمك عبارة عن شيك صادر باسم الدكتور آلان جافى من محل جالى سوترو وأظن ان هذا الاسم يدلك على شئ .

طبعا وأشكرك كثرا لماذا الشكر ؟.. أنا لم أقل لك شيئا .

- أنت على حق لا تخش شيئا فلن يعرف أحد إنك ذكرت لى أى شئ وأظن أنه أحس بارتياح كبير وهو يرانى أنصرف .

مستر جاك سوترو تاجر مجوهرات معروف وله محل كبير فى الدور الثانى من أحد ابراج الشارع الخامس ووجدت نفسى أمام جنتلمان كريم ذى شعر أشيب ومظهر إجتماعى وابتسامة ارستقراطية تشف عن أسنان ناصعة البياض ، وإختتمت حديثى معه بعد أن عرضت عليه سبب قدومى قائلا :

- بصفتى محامى الدكتور جافى يسعدنى أن تقدم لى بعض المعلومات التجارية الخاصة بكما .

– ولماذا لا تلجأ إلى عميلك رأسا ؟.

– لو إن ذلك كان ممكنا لفعلت يا مستر سوترو ولكن لسوء الحظ ان الدكتور جافي وقع ضحية حادث وهو يعالج الآن في مستشفى مانهاتن المركزية ، وتحت المسكنات ولا يستطيع التحدث قبل عدة أيام وأنا أنوب عنه في جميع أعماله من الناحية القانونية ، ومن الضروري أن أعرف كل شئ عن هذه القضية .

بدا على سوترو إنه يفكر قليلا قبل أن يسألني في لهفة :

– الديك أي مانع في أن أتصل بالمستشفى تليفونيا ؟.

– ابدا .. أرجوك أن تفعل ذلك .

ادار سوترو رقم التليفون ، وتمتم ببضع كلمات في السماعة ، وأصغى إلى ما يقال به في اهتمام ثم شكر محدثه وأعاد السماعة وقال وهو يفرك يديه :

– يجب أن أقول لك إنني عرفت أبا الدكتور جافي قبل أن يموت .

– وأنا أيضا يا مستر سوترو ، تمرنت في مكتبه بعد حصولي على الليسانس وأظن أن في هذا تفسيرا لاهتمامي بمشاكل ابنه .

– أرى ذلك ، حسنا كان أبو جافي من عملائي الممتازين .

وقد بعته أجمل القطع التي كانت بين مجوهرات زوجته وقد إشترى مني بعد ذلك مجموعة فريدة من المجوهرات باعها الآن لي بعد موت أبيه ثم اتاني أمس من جديد ليقدم لي بعض الاحجار التي ورثها عن ابيه.

– وهل تاكدت أن البضاعة صادرة منك أنت ؟.

- كلا ، بيد أن الشاب أكد لي ان اباه كان يشتري مجوهرات من زملائي التجار ،وقد فحصت الأحجار التي أتاني بها وعرضت عليه ثمنا طيبا .

- كم .. اذا لم أكن فضوليا .

- أربعون الف دولار ،وقال لي إنه بحاجة إلى شئ من السيولة - لسداد دين عاجل ،ولا يمكنه الانتظار لتحصيله من البنك ،وعرض علي ان يمنحني خصما قدره الفين من الدولارات اذا أعطيته أربعة آلاف دولار نقدا .

وفجأة بدا عليه القلق وقال :

- هل في هذه الصفقة شئ مشبوه يا أستاذ .

اكتفيت بان هززت رأسي بحركة لا تورطني ، حدثني قلبي بأن هذا الرجل سوف يصاب بصدمة بعد قليل ،ولم أشأ أن أكون أنا السبب في ذلك وكنت بحاجة الآن إلى مساعدة فيكي نورث فمضيت إلى المستشفى لكي أراها ،ولكنني لم أجدها في غرفة إليسون ،ولم تكن هذه الأخيرة في الغرفة هي الأخرى ،كانت الغرفة قد نظفت والفراش منسق ،وأحسست بقشعريرة تسري في كياني ، وأسرعت إلى غرفة الممرضات.

بدا الاضطراب على الممرضتين المنوبتين بالحراسة وأجابتا على أسئلتي في تحفظ ،ولكنني عرفت رغم ذلك أن اليسون كورث أصيبت فجأة بأزمة في التنفس ،وانها ماتت رغم كل المحاولات التي بذلت لها .

تساءلت اذا كانت فيكي ، في محنتها هذه تتمنى أن تخلو لنفسها أو إذا كانت على العكس ، تتوق إلى صحبتي ، حملتني تجربتي الخاصة على الاعتقاد بأن وجودي معها قد يخفف هذه المحنة ،وبحثت عن عنوانها في

دليل التليفونات ومضيت اليها .

فتحت فيكى الباب بمجرد أن ضغطت على الجرس ولم تكن قد هدأت بعد من الصدمة التى أصابتها بموت أختها وكانت فى حالة أدركت منها انها بحاجة إلى من يواسيها .

قالت وهى تتشنج :

- أوه سكوت ما كان يجب أن يقع ذلك ..كانوا جد مهملين .

- من ؟ الممرضات والأطباء والجميع .

جلسنا ، وامسكت بيدها وقلت :

- اذكرى لى ذلك

- كانت اليسون تعانى من التنفس فوضعوا لها الأكسوچين وهى غلطتى أنا ، فما كان يجب أن أفارقها ، هبطت لكى أتناول شطيرة ، وعندما عدتن اليها رأيت على الفور أنها ليست على ما يرام كان وجهها أسود ورأيت أن شيئا قد حدث مع خرطوم الاكسوجين .. كان يتدلى فى فراغ وكانت اليسون ميتة .

ولم تستطع أن تمنع دموعها فألقت برأسها على كتفى .

قلت وأنا أحاول تهدئتها :

- ما كان يمكن أن تتوقعى حدوث ذلك يافيكى ، لا تلقى التهمة على نفسك ..لابد للمقدور أن يقع .

استردت هدوءها بعد لحظة وراحت تستعيد فى هدوء وحنين وفى شئ من المرح ذكريات طفولتهما وخفف ذلك من حزنها .

وعلت الابتسامة شفتيها مرة أو مرتين ،وعندما سكتت جاء دوري في الحديث فأطلعتها على التحقيق الذى قمت به والناس الذين التقيت بهم وباستنتاجاتي والنتيجة التى وصلت إليها ،وشرحت لها كيف استغلت اليسون بكل خسة ونذالة ، وطلبت منها أن تساعدني ،وعرضت عليها ما أنتظره منها .

وأصغت إلى في هدوء تام ، ثم بدا عليها التركيز لحظة قبل أن تنهض وتمضى إلى التليفون ، وادارت رقما وقالت في صوت هادئ .

– ألو . أنا فيكي ، ظننت أن من واجبى أن أخبرك أن اليسون ماتت بعد ظهر اليوم ، وأظن أنها كانت تتمنى أن أخبرك بذلك ، ستتم الجنازة يوم الخميس في مقبرة سانت لامبير ، آه أردت أن أقول لك أنه يمكنك أن تمضى إلى المستشفى ، وإلي غرفة الموتى حيث هى مسجاة ، نعم إنني دبرت الأمر مع المستشفى عندما اعطوني الربطة التى بها مقتنيات أختى ، وسأكون هناك أنا نفسى في الساعة السادسة ، وأرجو أن تتكرم وتخبر زميلاتها وأصدقاءها .

كانت الساعة تقترب من السابعة ،وكنت جالسا وحدى في شقة فيكى ، أنتظر وكانت هناك ربطة ملفوفة في ورق أسمر موضوعة فوق منضدة أمامى ، وشيئا فشيئا تعودت عيناى على الظلام الذى أخذ يتزايد ،وكان هناك دولاب مفتوح خلفى ، ينتظر هو الآخر ، وكانت حركة المرور تحدث دويا مدويا وحاولت أن أحتفظ بالهدوء ،وانتني مرهفة ناحية باب البهو .

ولم أكن واثقا من الطريقة التى سأتصرف بها عندما يأتي ، بل إنني كنت أتساءل اذا كان سيأتى عندما صلصل رنين جرس الباب ،وكان صليلا

حادا ، ولكننى لم أتحرك ،وبعد سكتة قصيرة صلصل مرة أخرى ..اللعبة الكلاسيكية طبعا .. طرق الباب فى البداية للتأكد من إنه لا يوجد أحد ، وكتمت أنفاسى وسمعت صوتا معدنيا .. كان هناك من يحاول إغتصاب قفل الباب ، فأسرعت وتسللت داخل الدولاب ، وتركت بابه مواربا بما فيه الكفاية لكى اتمكن من الرؤية كما ينبغى .

وانفتح الباب وهو يصدر صريرا ، وبدد الظلام قبس ضعيف من النور وإرتفع صوت يقول فى حرص :

– فيكى.. هل أنت هنا ؟ لم أنطق ، واضئ نور السقف فكشف عن الزائر الذى ردد البصر حوله فى حذر ، وأسرع على الفور نحو المنضدة الصغيرة وأمسك بالرابطة وفكها فى عصبية وأفرغ محتوياتها ، ووقف يحدق فى ذهول فى ثياب اليسون .

قلت وأنا أخرج من الدولاب :

– إنك أزعجت نفسك من أجل لا شئ لن تجد ما تبحث عنه .

أدار رأسه نحوى ونظر إلى مشدوها وقد توتر فكه .

– أنت وغد وأقذر رجل التقيت به حتى الآن ، لم تتردد فى خداع مخلوقة ظريفة كاليسون كورث لكى تقوم بعملك القذر .

– عم تتكلم ؟.

– ما هذا بالرد اللائق يا كوان ، حاول أن تجد أحسن منه ،أنك تعرف تماما عم اتكلم ..عن الماس طبعا .. تلك الأحجار الثمينة المستوردة من امستردام والتى تقوم بتهريبها ، أشتبهت فى أن البوليس يراقبك ،

فاستخدمت اليسون لكى تدخل حمولتك الأخيرة خلسة من غير أن تدفع الضرائب المستحقة لجمارك الولايات المتحدة وقد أخفتها المسكينة على بدنها . وهذا هو السبب فى انك خرجت ، كالحمل البرئ بعد أن فتشك رجال الجمارك فى مطار كنيدى .

قال وقد ازداد توتر شفتيه :

– هل جننت ؟.

– وفر على نفسك هذا القول يا كوان ، ان عمليتك فشلت عندما تعرضت اليسون لتلك الحادثة ونقلت إلى المستشفى ، حدثتك نفسك بأنهم سيعثرون على الماسات وهم يجردونها من ثيابها وتملكك الخوف ، لكن عندما تحققت أن شيئا لم يحدث قدحت زناد فكرك ، وإذ ادركت ان الطبيب الذى اشرف على علاجها فى عربة الاسعاف عثر على الماسات ملصقة بشريط لاصق على صدرها عندما حاول أن يضع المسماع للكشف عليها ، استعلمت عنه وبذلك كنت تعرف اسمه عندما قلت لك إن الطبيب الممارس الذى عالج المضيفة كان عميلا لى .

وقد سألتنى على الفور عما وقع له ، وكان من الطبيعى أن أمضى إلى المستشفى لكى أرى جافى لأنه يعمل به ، فلماذا كنت تريد أن يقع له شئ إلا اذا كنت تعرف مسبقا أن شيئا قد وقع له وان هذا الشئ قد وقع له بفضلك انت بالذات ، فانت اقتحمت مسكنه ، وفتشته للعثور على الماسات ثم انتظرت عودته واختبأت وهاجمته من الخلف ولكن جافى لم يكن ضعيفا وحتى بعد أن أصبته بتلك الضربة العنيفة من الخلف قاومك ولا أدرى أن كنت بمفردك أو أن كان بصحبتك أحد آخر ، ولعلك حاولت تعذيبه لكى يتكلم

كان كوان يصغى إلى جامد الاسارير كتمثال من الحجر ، واستطردت أنا أقول :

– ولم تستطع الظفر بأى شئ من جافى ولم تعثر على المجوهرات فى مسكنه ، وقلت لنفسك عندئذ إنك ربما أخطأت بشأنه ولعل اليسون أخفت الماسات فى إحدى حواشى ثوبها فلم يعثر عليها أحد ولهذا قدمت هنا هذا المساء بعد أن قالت لك فيكى إنها اتت بحاجيات أختها فكان لابد لك أن تتأكد وكنت على يقين من أن فيكى ستكون هذه الساعة بالذات مشغولة باجراءات الجنازة .

رأيته يتقدم خطوة نحوى فقلت :

– اهدأ يا صاحبى فما أخالك تتصور أن أخاطر بالقبض على قاتل بمفردى ؟.

– قاتل ؟.

نعم يا كوان ، قاتل وقاتل ذكى ، أردت أن تغطى نفسك مهما يحدث ، واجهت نظرية أن المستشفى ربما عثرت على الماسات وابلغ مديرها البوليس ، ورأى هؤلاء أن يحتفظ بالأمر حتى تصبح اليسون فى حالة تمكنها من الرد على اسئلتهم وكنت تعرف إنها ضعيفة الارادة وإنهم اذا ما استجوبوها كما يجب فسوف تنهار وتعترف بكل شئ ، أخذت تتسكع فى المستشفى وما أن رأيت فيكى تنصرف حتى تسللت إلى غرفة أختها واتلفت جهاز الاكسوجين ونزعت الانبوبة التى تغذيها ونظرت اليها وهى تموت .مسكينة اليسون ، ان البوليس يعرف كيف يوجه ابحاثه وسوف يعثر على بصماتك على الجهاز الذى اتلفته .

رأى فى هذه الكلمات نهايته ، واعتقد إنه يمكنه أن يهرب وينجو فاستدار على الفور واندفع نحو الباب ، ولكننى لم أكن قد كذبت عليه ، فإننى كنت قد ابلغت البوليس ، وكانوا فى انتظاره للقبض عليه .

والحياة ليست ابدا قاتمة جدا ولاوردية جدا .

فقدت فيكى أختها ولكنها اكتسبت خطيبا فى شخصى أنا وقام بوليس الجمرك بالهجوم على محل جاك سوترو واستولوا على الماسات واعترض المحامون قبل البنك الذى أودع جافى الشيك فيه ، وخسر مستر سوترو الأربعة آلاف دولار التى دفعها نقدا واقترحت عليه ان يطالب بيج سام تارلوف بها ومازال يطالبه بها حتى اليوم .

ويتماثل جافى الان للشفاء ، ولعل هذه المغامرة قد خلصته نهائيا من حبه القاتل للمقامرة ، وقد تعرض للتهام باختلاس الماسات ولكننى نصحته طبعا أن يكون شاهد اثبات ضد بن كوان وقد حكم على هذا الأخير بالحد الأقصى وسوف يكون رجلا مسنا جدا عندما يخرج من السجن ، أما أنا فكل ما بذلته من أجل جافى سيضم إلى الأعمال الخيرية ، فانا لم اتقاض سنتا واحدا كأتعاب .

وخرج باب دوبولو وحده من هذه القضية سليما ، فقد عدل القاضى عن مصادرة الكفالة المدفوعة عن الطبيب الشاب ، واسترد بابا نقوده وكاد يطير فرحا ودعانى أنا وفيكى إلى العشاء فى مطعم يديره أحد مواطنيه وقد حدث هذا منذ خمسة عشر يوما ، وما زلنا نعانى من عسر الهضم حتى اليوم .

